جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

العلمانية
وخطرها على العالم الإسلامي

الدكتور
محمد أحمد محمد فراج
أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد
بكلية أصول الدين بأسيوط

العدد الثامن عشر
للعام ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م
الجزء الخامس
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٤م
الترقيم الدولى ISSN 2356-9050

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده ، وأشـــهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله .

أما بعد :

فإن الإسلام هو الدين الخاتم الذى رضيه الله – عز وجل – لعباده وقـــرر ألا يقبل منهم دينا سواه ، ذلك لأن رسالته قد تميزت من بين ما تميزت به علـــى غيرها بالعمومية والخلود .

فهي رسالة البشرية جمعاء ، من يوم البعثة المحمدية إلى يـــوم الفصـــل والقضاء ، ومنذ أن من الله عز وجل على هذه الأمة بتلك الرسالة وهى مستهدفة من الحاقدين والأعداء ، فكم دبروا لها من مكائد وكم تآمروا عليها فى العلانيـــة والخفاء ، فمن ماسونية ماكرة إلى علمانية متحررة قـــاتلهم الله مـــن أعـــداء ، يريدون أن يطفئوا نور الله والله يأبى إلا أن يعم نوره سائر الأنحاء

ثم أما بعد

فلكل عصر قضاياه ، ولكل مجتمع فكر يترجم عن نواياه ، وعلى الـــرغم من تلك القضايا المتعددة التي يموج بها عصرنا هذا ، إلا أن قضية العلمانية وإن بدأت منذ زمن بعيد إلا أنها أصبحت اليوم هي قضية هذا العصر ، ولا أدل علـــى ذلك من أنها صارت حديث الناس على اختلاف طبقاتهم ودرجاتهم فى العالم كلـــه ولا أقول فى مصر ، ومن ثم فقد آثرت الكتابة فيها كمحاولة متواضعة لكشف ما تنطوي عليه من الدهاء والمكر ، وما تكنـــه الإســـلام وأهلـــه مـــن إرادة الإذلال والقهر، سائلا الله – عز وجل – التوفيق والسداد وأن يكلل ذلك بموفور الثـــواب والأجر .

مفهوم العلمانية

الحكم على الشيء فرع عن تصوره – هكذا قال علماء المنطق – ومن ثم كان لزاما علينا قبل أن نحكم للعلمانية أو عليها أن نحدد مفهوم هذه الكلمة تحديداً دقيقاً ، حتى يكون الحكم صائباً لا مجال فيه للنقد أو الاحتمال .

وقد رأيت من خلال ما وقفت عليه مما كتب عن العلمانية أن هناك خلافا حول الأصل الذى اشتقت منه هذه الكلمة ، حيث ذهب البعض إلى القول بأنها مشتقة من العلم ، بينما ذهب آخرون إلى القول بأنها مشتقة من العالم ، وعلى تقدير إثبات صحة أى منهما يتضح لنا ما يدعو إليه أصحاب هذا المذهب .

والآن فقد حان الشروع فى المقصود ، فنقول بتوفيق الله عز وجل :

جاء فى كتاب " حقيقة العلمانية " [١] أن هذه الكلمة " العلمانية " إنما هي ترجمة لكلمة " سيكولاريزم " "secularism " الإنجليزية ، والتي لها نظائرها فى اللغات الأوربية ، والكلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية " سيكولوم" " saculum" وتعنى " العصر " أو " الجيل " أو " القرن " ، أما فى لاتينية العصور الوسطى التي تهمنا فى سياق هذا الفصل فإن الكلمة تعنى " العالم " أو " الدنيا " فى مقابل الكنيسة .

أما الدكتور / سفر الحوالى[٢] فيذكر أن العلمانية بكسر العين ترجمة غير دقيقة ، بل غير صحيحة لكلمة "secularism " فى الانجليزية ، أو " Secularit" أو " Laique " بالفرنسية ،وهى كلمة لا صلة لها بلفظ العلم ومشتقاته على الإطلاق ، فالعلم فى الانجليزية والفرنسية يعبر عنه بكلمة

---

(١) حقيقة العلمانية والصراع بين الإسلاميين والعلمانيين للدكتور /محمد ابراهيم مبروك الطبعة الأولى ٢٠٠٢ م جـ ١ صـ ٣ .

(٢) فى رسالته للماجستير وعنوانها " العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها فى الحياة الإسلامية المعاصرة صـ٢١ ،٢٢ ط / دار الكتب السلفية للنشر والتوزيع ١٩٨٧ – الكويت .

" science" ، والمذهب العلمي يطلق عليه كلمة "scientism"" ، والنسبة إلى العلم هى" scientific " أو " scientifigue " فى الفرنسية .

ثم إن زيادة الألف والنون غير قياسية فى اللغة العربية ،أى فى الاسم المنسوب ، إنما جاءت سماعا مثل " ربانى " نسبة إلى "رب " ثم كثرت فى كلام المتأخرين كقولهم "روحانى " و " نفسانى" و" نورانى" ، واستعملها المحدثون فى عبارات مثل "عقلانى "و "شحصانى" ومثلها "علمانى" .

والترجمة الصحيحة للكلمة هي "اللاتينية" أو "الدنيوية " لا بمعنى ما يقابل الأخروية فحسب ، بل بمعنى أخص وهو ما لا صلة له بالدين ، أو ما كانت علاقته بالدين علاقة تضاد .

وإنما ترجمت الكلمة الأجنبية بهذا اللفظ "العلمانية" لأن الذين تولوا الترجمة لم يفهموا من كلمتى " الدين " و" العلم " إلا ما يفهمه الغربي المسيحي منها، والدين والعلم فى مفهوم الإنسان الغربى متضادان متعارضان ، فما يكون منهما دينيا لا يكون علميا ، وما يكون علميا لا يكون دينيا ، فالعلم والعقل يقعان فى مقابل الدين ، والعلمانية والعقلانية فى الصف المضاد للدين [١] .

ومما يؤيد صحة ما ذهب إليه الدكتور / سفر الحوالي ما ورد فى دائرة المعارف البريطانية وغيرها من المعاجم الأجنبية بخصوص هذا المصطلح ، حيث جاء فى دائرة المعارف البريطانية ان العلمانية إنما هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بهذه الدنيا وحدها ،وذلك انه كان لدى الناس فى العصور الوسطى رغبة شديدة فى العزوف عن الدنيا والتأمل فى الله واليوم الآخر ، وفى مقاومة هذه الرغبة طفقت " secularism " تعرض نفسها من خلال تنمية النزعة الإنسانية ، حيث بدأ الناس فى عصر النهضة يظهرون

---

(١) المصدر السابق صـ ٢٢ .

تعلقهم الشديد بالإنجازات الثقافية والبشرية وبإمكانية تحقيق مطامحهم فى هذه الدنيا القريبة ، وظل الاتجاه إلى الـ "secularism " يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله باعتبارها حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية" (١) .

وجاء فى قامس العالم الجديد شرحاً للمادة نفسها :

١- الروح الدنيوية أو الاتجاهات الدنيوية ونحو ذلك على الخصوص : نظام من المبادئ والتطبيقات "practice" يرفض أى شكل من أشكال الإيمان والعبادة.

٢- الاعتقاد بأن الدين والشئون الكنسية لا دخل لها فى شئون الدولة وبخاصة التربية العامة .(٢)

أما المعجم الدولي الثالث الجديد فقد ذكر أن مادة "secularism " اتجاه فى الحياة أو فى أى شأن خاص يقوم على مبدأ أن الدين أو الاعتبارات الدينية يجب ألا تتدخل فى الحكومة ، أو استبعاد هذه الاعتبارات استبعاداً مقصوداً، فهي تعنى مثلاً: السياسة اللادينية البحتة فى الحكومة ، وهى نظام اجتماعي فى الأخلاق مؤسس على فكرة وجوب قيام القيم السلوكية والخلقية على اعتبارات الحياة المعاصرة والتضامن الاجتماعي دون النظر إلى الدين.(٣)

يقول المستشرق "اربرى" فى كتابه "الدين فى الشرق الأوسط" عن الكلمة نفسها :

" إن المادية العلمانية والإنسانية والمذهب الطبيعي والوضعية ، كلها أشكال لا دينية ، واللادينية صفة مميزة لأوربا وأمريكا ، ومع أن مظاهرها موجودة فى الشرق الأوسط ، فإنها لم تتخذ أى صبغة فلسفية أو أدبية محدودة ،

---

(١) جذور العلمانية للدكتور السيد أحمد فرج ط / دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ الطبقة الثالثة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م صـ ١٠٥ .

(٢) أنظر حقيقة العلمانية والصراع بين الإسلاميين والعلمانيين صـ١ صـ ٥ .

(٣) العلمانية - نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة صـ ٢٢.

والنموذج الرئيسي لها هو فصل الدين عن الدولة فى الجمهورية التركية "[١]

ومن ثم يتضح لنا أن العلمانية لا صلة لها بالعلم على الإطلاق ، وأنها تعنى فى لغة الغربيين وعرفهم " اللادينية " ، والذى يؤكد ذلك هو أن دائرة المعارف البريطانية حينما تحدثت عن العلمانية قد تحدثت عنها ضمن حديثها عن الإلحاد ، حيث جعلت الفلسفة أو المذهب العلماني دوراً أو لوناً من ألوان الإلحاد ، والذى قسمته إلى قسمين :

١- إلحاد نظري وهو جحود وجود الله نظريا – أن يكتفى بإنكار وجود الله فى نفسه فقط .

٢- وإلحاد عملي يقوم على إنكار وجود الله عمليا ،أى يتبع إنكار وجود الله فى نفسه بعمل، كأن يدعو لفكرته هذه ويحث الناس عليها .

ولهذا يكون معنى العلمانية عند الغربيين يدور حول ما يأتى :

١- اللاديني .

٢- المادية

٣- عدم بناء الأخلاق والتعليم على الدين .

٤- الإلحاد .

٥- حركة اجتماعية هدفها إبعاد الدين عن الحياة .

تلكم هي معانى العلمانية عند الغربيين ، وأصلها عندهم يؤكد عدم صلتها بالعلم المنسوب إليه زوراً وبهتاناً ومغالطة وتضليلاً وتمويها وخداعا للمسلمين لاستدراجهم عن طريق العلم الذى يحبونه إلى العلمانية التي تقصى الدين عن الحياة والعلم معا .[٢]

---

(١) المصدر السابق صـ٢٣ .

(٢) نشأة العلمانية – محمد زين الهادي صـ ٢٢ .

والذى يؤكد لنا هذا – كما ذكر الدكتور / على محمد جريشة[١] – أن العلمانية ترجمة للكلمة الإنجليزية " sec ularitg "وهذا اشتقاق من " secular " وهى مرادفة للكلمة الإنجليزية " unreligous " أى لا "ديني" أو "غير عقيدي" ، ومن ثم كانت العلمانية تعنى اللادينية .

ومن هنا نفهم إعلان البعض عن قيام دولة علمانية ....أو عن رغبة البعض فى ذلك ، ونفهم سر اختيار الكلمة ....إنها تعبر عن المقصود دون صدام للمشاعر والأحاسيس .

ولنا أن نتصور الفارق بين الاعلان عن دولة علمانية أو الاعلان عن دولة لا دينية ، ومن هنا نشعر بخبثهم فى ترجمة الكلمة إلى لفظ العلمانية ، ونشعر بخبث الذين يستعملون هذا اللفظ دون اللفظ الكاشف عن المعنى المقصود، ونشعر مع هذا كله بواجبنا لتعرية هذا اللفظ الخبيث على حقيقته.

---

(١) انظر أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي للدكتور /على محمد جريشة ومحمد شريف الزيبق صـ ٥٩ ط دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع .

أسباب نشأة العلمانية

مما لا خلاف فيه أن لكل فعل رد فعل مساوياً له فى القوة ومضاداً له فى الاتجاه ، والذى يتتبع التاريخ الأوربي فى العصور الوسطى ويقف على الظروف التي مرت بها أوربا فى تلك الفترة يتضح له أن العلمانية لم تنشأ من فراغ بل كانت نشأتها نتيجة للأسباب الآتية :

أولا : فساد رجال الكنيسة

لقد انتشر الفساد بين من كان يفترض فيهم أن يحاربوه ويمنعوه – بين رجال الكنيسة – حيث قد انحطت أخلاقهم ، واستحوذ عليهم الجشع ، حتى أنهم أصبحوا يبيعون المناصب والوظائف كالسلع ، وأحيانا كانت تباع بالمزاد العلني ، بل ويؤجرون أرض الجنة بالوثائق والصكوك وتذاكر الغفران ..... ويرتشون ويرابون ويبذرون ، لدرجة أن البابا "ليو العاشر" قد أنفق ما ترك من سبقه من البابوية من أموال ، ولم يكتف بذلك ، بل أخذ إيراد خليفته المرتقب سلفا وأنفقه ، حتى روى أن مجموع دخل فرنسا لم يكن يكفى البابوات لنفقاتهم وإرضاء شهواتهم وملذاتهم الخاصة .[١]

إن رجالاً كهؤلاء لا يستحقون أن ينسبوا إلى المسيحية فضلا عن أن يكونوا من دعاتها أو القائمين عليها ، وإذا استقبحت هذه الأفعال وتلك المنكرات من غيرهم فهي منهم أقبح وأبشع .

وتلك صورة اخرى من صور الفساد الذى انتشر بين رجال الدين المسيحي فى ذلك الوقت يذكرها لنا صاحب كتاب " قصة الحضارة" [٢] ورد على لسان القديسة "كترين السينائية" التى تقول : "أنك أينما وليت وجهك نحو

---

(١) أنظر حقيقة العلمانية والصراع بين الإسلاميين والعلمانيين جـ ١ صـ ٩٣

(٢) للمؤلف " وول ديورانت " جـ ٢١ صـ ٨٥ ط / لجنة التأليف والنشر ١٩٦٤ م .

القساوسة أو الأساقفة أو غيرهم من رجال الدين أو الطوائف الدينية المختلفة أو الأحبار من الطبقات الدنيا أو العليا سواء كانوا صغاراً فى السن أو كباراً لم تر إلا شراً أو رذيلة تزكم أنفك رائحة الخطايا الأدمية البشعة ، إنهم كلهم ضيقوا العقل شرهون بخلاء عن رعاية الأرواح ، اتخذوا بطونهم آلهة لهم ، يأكلون ويشربون فى الولائم الصاخبة ، حيث يتمرغون فى الأقذار ، ويقضون حياتهم فى الفسق والفجور ، ويطعمون أبناءهم من مال الفقراء ، ويفرون من الخدمات الدينية فرارهم من السجون "

ولا غرابة فى هذا على رجال وصلوا إلى ما وصلوا إليه من مناصب عن طريق الوساطة والرشوة والجري وراء الشهوات والملذات ، ولا أدل على ذلك من أن كرسي البابوية لم يعد متاحاً إلا بالرشا أو رغبات النساء ذوات المقام السامي والخلق الدنئ ، وبقيت أسرة " بثوفيلاكت" أحد كبار الموظفين فى قصر البابا ترفع البابوات إلى كراسيهم وتنزلهم عنها كما يحلو لها ، واستطاعت ابنته "مربوزا" أن تنجح في اختيار عشيقها "سرجيوس " لكرسي البابوية ٩٠٤ -٩١١م .... وظلت "مربوزا" تستمتع بعدد من العشاق واحداً بعد واحد إلى أن رفعت فى عام ٩٣١م يوحنا الحادي عشر إلى كرسي البابوية ، وكان الشائع على الألسنة أن يوحنا هذا ابن لها غير شرعي من سرجيوس الثالث.(١)

ليس ذلك فقط ، بل لقد امتد فساد رجال الكنيسة إلى أماكن العبادة ، حتى الصلاة كانت تؤدى على أنغام الموسيقى ثم تعقبها حفلات الرقص بين الجنسين تحت الأضواء الخافتة الحالمة وبين الألحان الدافئة والساخنة تحت سمع وبصر رجال الدين ، بل تحت رعايتهم وتوجيههم .(٢)

---

(١) المصدر السابق جـ ١١ صـ ٣٧٨ .

(٢) أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامي للدكتور /على محمد جريشة ومحمد شريف الزيبق صـ ٦٠ ط دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع .

ثانيا : اضطهاد الكنيسة للمفكرين والعلماء

لا يمكن أن ينسى التاريخ ما ارتكبته الكنيسة من مجازر وحشية فى حق العلماء المبدعين والمفكرين الأحرار الذين انتهوا فى بحوثهم العلمية إلى نتائج تخالف تعاليمها ومعتقداتها .

وإذا كان علماء الإسلام قد تحدثوا في كتبهم الدينية عن كروية الأرض ببساطة ويسر كما رأينا ابن حزم في كتابه " الفصل في الملل والأهواء والنحل " وكذلك غيره من المسلمين ... فإن الكنيسة قد أخذت تحاكم من يقول هذا وتعده كفراً ومروقاً من الدين[١] .

لقد وقفت الكنيسة حائلاً – كما يذكر الدكتور يحيى هاشم[٢] – ضد أي اكتشاف علمي لا يتفق مع تعاليمها ، ومن ذلك نظرية دوران الأرض حول الشمس التي كشف عنها العالم الفلكي البولندي " كوبر نيقوس" فاصطدمت النظرية بالآراء الكنسية التي تقرر أن الأرض مركز الكون ، لأن الأقنوم الثاني " المسيح " تجسد منها ، وعليها تمت عملية الخلاص والفداء ، وفوقها يتناول العشاء الرباني ... ، وكان هذا سبباً في أن يقع ذلك العالم في قبضة محكمة التفتيش ، ولكن المنية أدركته قبل إنزال العقوبة به ، إلا أن الكنيسة قررت وضع كتابه " حركات الأجرام السماوية " في قائمة الكتب المحرمة ومنعت تداوله .

وظنت الكنيسة أن هذه النظرية قد انتهت ، إلا أن " برونو " قد تبناها بعد وفاة صاحبها فقبضت عليه محكمة التفتيش وزجت به في السجن ست سنوات ، فلما أصر على رأيه أحرقته وجعلته عبرة لمن يعتبر .

---

(١) التطرف العلماني في مواجهة الإسلام للدكتور / يوسف القرضاوي صـ١٩ ط / دار الشروق – الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

(٢) انظر كتابه " حقيقة العلمانية بين الخرافة والتخريب " صـ١٣ ط / دار الصابوني .

ثم ابتكر " جاليليو " التلسكوب فأيد نظرية " كوبر نيقوس " بطريقة عملية ، فكان ذلك مبرراً للقبض عليه ومحاكمته ، ولما خشى على حياته أن تنتهى بالطريقة التي انتهت بها حياة سلفه " برونو " أعلن ارتداده عن رأيه قائلاً " أنا جاليلو أرفض وألعن وأحتقر القول الإلحادي الخاطئ بدوران الأرض " [١] .

ومنذ ذلك الحين أصدرت الكنيسة قراراً ينص على أن الاقتراح القائل بأن الشمس هي المركز وأنها لا تدور حول الأرض حماقة وسفه وزيف في علم اللاهوت وهرطقة ، لأنه يناقض على طول الخط ما جاء في الكتاب المقدس ، وأما القول بأن الأرض تدور حول الشمس وليست هي المركز فسخيف وزائف فلسفياً ، ومن الناحية اللاهوتية يعارض – على الأقل – العقيدة الحقيقية .

ومن ثم فقد وجدنا نفراً من قادة الإصلاح الديني يصفون أصحاب هذه الحقائق الثابتة بالحماقة ويسخرون منهم ، حتى قال " مارتن لوثر " متحدثاً عن " كوبر نيقوس " : " يريد ذلك الأحمق أن يقلب علوم الفلك كلها رأساً على عقب ، ولكن كما يقرر الكتاب المقدس أن الشمس نفسها وليس الأرض هي التي أمرها يوشع أن تقف " .

كما أكد " جون كلفن " أن الأرض ثابتة مستشهداً بالمزمور ٩٣ (وكذلك ثبتت المسكونة لا تتزعزع) وسأل باحتقار (من ذلك الذى يجرؤ على وضع سلطة كوبر نيقوس فوق سلطان الروح القدس ؟) .

ولم يقتصر الأمر على معارضة الكنيسة وقادة الإصلاح الديني والعامة ، بل وصل الأمر إلى محاولة أحد مؤسسي المنهج التجريبي وهو" فرنسيس بيكون " دحض فكرة دوران الأرض حول الشمس .[٢]

---

(١) قصة النزاع بين الدين والفلسفة – توفيق الطويل صـ ٢٠٥ .

(٢) انظر حقيقة العلمانية والصراع بين الإسلاميين والعلمانيين صـ٩٤ ، ٩٥ .

ثالثاً : استبداد الكنيسة ووقوفها إلى جانب الحكام والإقطاعيين :

لم يقتصر دور الكنيسة على الحجر على العلماء فقط ، بل امتد سلطانها إلى التحالف مع الطبقة الحاكمة ورجال الإقطاع ضد عامة الشعب من الفقراء والمحتاجين .

والكنيسة باعتبارها مؤسسة دينية كنا ننتظر منها أن تحارب الظلم وتقف بجوار المظلومين ، إلا أن هذا لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كان القائمون عليها أهلاً لتحمل المسئولية أو ممن بلغوا القمة في السلوك الطيب والخلق الرفيع ، أما وأننا قد عرفنا أنهم طغوا وآثروا الحياة الدنيا وصاروا عبيداً لشهواتهم وملذاتهم فقد تحولوا من كونهم دينيين إلى دنيويين يحرصون على جمع المال ويطلبونه أينما وجد .

لقد تحالف البابا ورجاله مع الحكام والظلمة ضد العامة من الناس ، وبدلا من أن يكونوا ملاذهم ضد الظالمين والمفسدين نراهم يقفون بجانب الأباطرة ورجال الإقطاع ، وكانت الكنيسة في ذلك منطقية مع وضعها باعتبارها من كبار الملاك ، فهل كان يمكن عقلا أن تحارب الإقطاع وهى جزء منه بل هي من أكبر ممثليه؟ !

يقول المستشار على جريشة مشيراً إلى الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي مرت بها أوربا في ذلك الوقت :

" كانت أوربا تعيش حياة الإقطاع ، حيث يملك نفر بسيط الأرض بما عليها ومن عليها ، ولم يكن للعامل حق في أجر عادل ، بل كان يمثل شيئاً يملكه الإقطاعي كما يملك الآلات الزراعية القائمة على هذه الأرض سواءاً بسواء ، ومن ثم كانت الغالبية من الناس تعيش حياة الفقر والفاقة والعوز ، بينما قلة من الناس تعيش حياة الترف والدعة والفجور ، وبذا نشأ في المجتمع طبقتان :

١- طبقة السادة التي تملك كل شيء ولها كل شيء .

٢- وطبقة العبيد التي لا تملك شيئاً وليس لها أي شيء .

وكانت الكنيسة لا تكتفى بالسكوت على مظالم الإقطاع ، بل إنها كانت تمارس نفسها الإقطاع "[١] .

لقد أصبحت الكنيسة أكبر ملاك الأراضي وأكبر السادة الإقطاعيين في أوربا، فقد كان " ديرفلدا " مثلاً – كما يذكر ول ديورانت [٢] – يمتلك قصراً صغيراً من قصور الريف ، وكان دير سانت جول يمتلك ألفين من رقيق الأرض ، وكان " ألكوين في تور " سيداً لعشرين ألفاً من أرقاء الأرض ، وكان الملك هو الذى يعين رؤساء الأساقفة ورؤساء الأديرة ، وكانوا يقسمون يمين الولاء له كغيرهم من الملاك الإقطاعيين ، وكانوا يلقبون بالدوق والكونت وغيرهما من الألقاب الإقطاعية، وهكذا أصبحت الكنيسة جزءاً لا يتجزأ من نظام الإقطاع .

رابعاً : مسألة صكوك الغفران وقرارات الحرمان :

لقد ادعت الكنيسة حقوقاً لا يملكها إلا الله تعالى مثل حق الغفران وحق الحرمان ، ولم تتردد في استعمال هذه الحقوق واستغلالها ، ففرضت على الناس صكوك الغفران بحجة أن الكنيسة تغفر الذنوب ، كما أصبحت هذه الصكوك تباع في الأسواق لمن يطلبها كما تباع أسهم البنوك والمؤسسات .

ففي عام ١٢١٥م صدر عن مجمع روما قرار خطير يعطى البابا حق غفران الذنوب ، استناداً فيما نظن إلى نص محرف ينسب إلى المسيح عليه السلام ، وهو قوله لبطرس : " وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات ، فلك ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات ، وكل ما تحلله على الأرض يكون

---

(١) انظر الاتجاهات الفكرية المعاصرة دكتور / على جريشة صـ ٥٩ – ط/ دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة الرابعة – ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧ م .

(٢) قصة الحضارة – المجد السابع – جـ١٤ صـ ٤٢٨، ٤٢٩ ط / شركة – نهضة مصر للطباعة والنشر .

محلولاً في السموات"[١] .

وقد ورد بعد هذا النص نص آخر يشكك في صحة النص الأول إذ ينسب إلى المسيح قوله لبطرس أيضاً : " .... فالتفت وقال لبطرس اذهب عني يا شيطان، أنت معثرة لي ، لأنك لا تهتم بما لله " [٢] .

فكيف يعطى المسيح عليه السلام إلى الشيطان مفاتيح ملكوت السموات ؟ وهل يملك المسيح نفسه هذه المفاتيح ؟ [٣] .

قال تعالى :

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾[٤] .

<u>والغفران الذى تدعيه الكنيسة لا يتم إلا بطقوس معينة :</u>

منها : الجلوس على كرسي الاعتراف للإدلاء أمام القسيس أو من يعلوه باعترافات بلا تفرقة بين ذكر أو أنثى وبلا شرط لانعدام الخلوة في حالة الأنثى .

ومنها : إصدار صك بالمغفرة غالباً ما يدفع المذنب في مقابله شيئاً من المال ، وقد اتخذت صكوك الغفران شكل التجارة في بعض الفترات ، كما شكلت مصدراً للإثراء غير المشروع لرجال الدين المسيحي، ويجرى الصك على النحو التالي:

---

(١) إنجيل متى – الإصحاح السادس عشر ١٩، ٢٠ .

(٢) إنجيل متى – الإصحاح السادس عشر ٢٣، ٢٤ .

(٣) الاتجاهات الفكرية المعاصرة صـ ٥٤، ٥٥ .

(٤) سورة المائدة الآيتان ١٧، ١٨ .

" ربنا المسيح يرحمك يا ... (يذكر اسم طالب المغفرة) ويحلك باستحقاق آلامه الكلية القدسية ، وأنا بالسلطان الرسولي المعطى لي أحلك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنسية التي استوجبتها ، وأيضاً من جميع الإفراط والخطايا والذنوب التي ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة ، ومن كل علة وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا والكرسي الرسولي ، وأمحو جميع أقذار الذنوب وكل علامات الملامة التي ربما جلبتها على نفسك في هذه الفرص ، وأرفع القصاصات التي تلزم بمكابدتها في المطهر ، وأردك حديثاً إلى الشركة في أسرار الكنيسة وأقرئك في شركة القديسين ، أردك ثانية إلى الطهارة والبر اللذين كانا عند معموديتك ، حتى أنه في ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذى يدخل منه الخطاه إلى محل العذاب والعقاب ، ويفتح الباب الذى يؤدى إلى فردوس الروح وإن لم تمت سنين مستطيلة ، فهذه نعمة تبقى غير متغيرة حتى تأتى ساعتك الأخيرة باسم الأب والابن والروح القدس"[١] .

ومنها : إصدار قرارات الحرمان ، إذ من يملك المغفرة يملك الطرد من رحمة الله ، وفيما يلى نموذج للقرارات التي كانت تصدرها الكنيسة " بقرار الملائكة وحكم القديسين نحرم ونلعن ونصيب دعاءنا على باذوخسبينوزا بموافقة الطائفة المقدسة كلها ، وفى وجود الكتب المقدسة ذات الستمائة والثلاثة عشرنا موسا المكتوبة بها نصب عليه اللعنة وجميع اللعنات المدونة في سفر الشريعة ، وليكن مغضوباً وملعوناً نهاراً وليلاً وفى نومه وصبحه ، ملعوناً في ذهابه وإيابه وخروجه ودخوله ، نرجو الله ألا يشمله بعفوه أبداً ، وأن ينزل عليه غضبه وسخطه دائماً ، ويحمله جميع اللعنات المدونة في سفر الشريعة ، ونسأل الله أن يخلص أولى الطاعة منكم وينقذهم، وألا يتحدث معه أحد بكلمة أو يتصل به كتابه،

---

(١) أحمد شلبي " المسيحية " جـ٢ صـ٢٥٤ .

وألا يقدم له أحد مساعدة أو معروفاً ، وألا يعيش معه أحد تحت سقف واحد ، لا يقرب أحد منه على مسافة أربعة أذرع ، وألا يقرأ أحد شيئاً جرى به قلمه أو أملاه لسانه "[١] .

وإزاء هذه المواقف التي وقفتها الكنيسة والتي تقف على النقيض من بديهيات العقل والمنطق ، وإزاء هذا الفساد المناهض للعلم والإصلاح ، وإزاء هذا الظلم والطغيان الواقع على الفقراء والمحتاجين ، بالإضافة إلى ما ابتدعه رجالها من تملكهم لحقوق لا يملكها إلى الله عز وجل ، كان طبيعياً أن ينحاز رجال النهضة إلى أصحاب الفكر العلماني ، وأن يرتفع شعار فصل الدين عن الدولة والذى انفجرت الثورة الفرنسية عقبه رافعة شعار " أشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس " .

ومهما قيل في شأن الثورة الفرنسية من أنها أغرقت الأرض ببحار من دماء، وأنها صارت تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله ، وأنها خلصت الناس من إرهاب لتوقعهم في إرهاب آخر ، وأن ضحاياها كان منهم الكثير من الأبرياء ، فقد أفرزت هذه الثورة ما يلى :

١- تأكيد تقييد سلطان الكنيسة برفع شعار العلمانية وفصل الدين عن الدولة .

٢- تقييد السلطان السياسي للملوك والحكام .

٣- إعلانات حقوق الإنسان التي ركزت على الحرية والملكية والمساواة وحق مقاومة الظلم ، ثم صدرت الدساتير المختلفة التي تؤكد هذه الحقوق ، والتي تنظم علاقة الحاكم بالمحكوم ، كما توزع الاختصاصات بين السلطات الثلاث : التشريعية والقضائية والتنفيذية ، بعد تأكيدها للفصل بين السلطات باعتبار ذلك ضماناً هاماً للشريعة .[٢]

---

(١) قصة الفلسفة للدكتور فتح الله صـ ١٩٢، ١٩٣ نقلاً من الاتجاهات الفكرية صـ ٥٦ .

(٢) الاتجاهات الفكرية المعاصرة صـ ٦٤، ٦٥.

ومنذ ذلك الحين انتشرت العلمانية في أرجاء القارة الأوربية ، وللأوربيين عذرهم في تقبلها والدعوة إليها ، ولم لا يقبلونها وقد رأوا أنها هي التي تحررهم من سلطان الكنيسة ومن جبروت القائمين عليها ، أليست هي التي حجرت على العقول والأفكار ؟ أليست هي التي أعلنت الحرب على المبدعين والمخترعين ؟ ثم أليست هي التي حجرت على القلوب حينما أقامت بينها وبين الله ممثلاً في كرسي الاعتراف وصكوك الغفران وقرارات الحرمان ؟ .

أليس من حقهم وقد واتتهم الفرصة أن يثأروا لأنفسهم من كنيسة تردت إلى تلك الهاوية وتردى أربابها في مستنقع الرذيلة – كما يذكر الدكتور على جريشة[١] – تحت ستار الرهبنة وتوزيع البركات مع قيام العصمة حائلاً دون أن يسأل البابا أو يسأل من دونه باعتبارهم ممثلين له ؟ .

ومن ثم زاد تردد شعار العلمانية باعتباره العاصم الوحيد دون عودة سلطان الكنيسة في القرون الوسطى، أو باعتباره باب الولوج إلى الحرية والنهضة والتقدم .

وأشعل المستفيدون من هذه الشعارات لهيب الحماس للعلمانية باعتبارها "المنقذ" للشعوب مما هي فيه من تخلف وتعصب وبعد عن الحضارة والمدنية .

وانتقلت العلمانية إلى شعوب مختلفة ، وانتقلت معها تطبيقاتها في مجالات مختلفة ، وكان نصيب الشرق الإسلامي وافياً على نحو ما سنشير إليه في الصفحات التالية .

---

(١) المصدر السابق صـ٦٦ .

أسباب انتقال العلمانية إلى العالم الإسلامي :

من الأهمية بمكان أن نشير إلى أهم الأسباب التي انتقلت من خلالها العلمانية إلى العالم الإسلامي ، وذلك ليكون أبناؤنا على دراية كاملة بتفاصيل تلك المرحلة من تاريخ الأمة الإسلامية ، فيتجنبوا ويجنبوا من بعدهم الانزلاق إلى مثل هذه الهاوية مستقبلاً .

ولقد تنوعت وتعددت أسباب انتقال العلمانية إلى بلاد المسلمين ، لدرجة أن دعاتها سواء كانوا من الغرب أم كانوا من المنتسبين إلى الأمة الإسلامية لم يتركوا ميداناً من ميادين الحياة إلا سلكوه بغية النفاذ إلى حياة المسلمين لتحقيق أهدافهم ونشر أفكارهم وتنفيذ مخططاتهم ، ومن هذه الأسباب ما يلى :

أولاً : الغزو العسكري " الاستعمار " :

الاستعمار هو ظاهرة تهدف إلى سيطرة دولة قوية على دولة ضعيفة وبسط نفوذها بقصد استغلال خيراتها في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وإن شئت فقل هو نهب وسلب منظم لثروات البلاد المستعمرة ، فضلاً عن تدمير تراثها الحضاري والثقافي وفرض ثقافته هو على أنها الثقافة الوحيدة القادرة على نقل البلاد المستعمرة إلى مرحلة الحضارة .

ولقد تعرض العالم الإسلامي لهجمات قوية من قبل أعدائه عبر عصور التاريخ، ولم يكن مخططه أن يستغل خيرات تلك البلاد ويستعبد سكانها فحسب كما يظن البعض ، بل كان يقصد أول ما يقصد إلى محاربة الإسلام وإضعاف شوكة المسلمين مستخدماً في سبيل ذلك ما أمكنه من الوسائل ما ظهر منها وما بطن .

ففي عام ١٨٤٨م تم احتلال فرنسا للجزائر ، وعلى الرغم من تلك الثورات القوية التي قامت بها المقاومة الجزائرية والتي نتج عنها ما نتج من صدمات دموية، إلا أن هذه المقاومة لم تنجح نجاحاً كاملاً في قمع المحتلين، حيث قد استتب الأمر للفرنسيين وأصبحت الجزائر خاضعة للحكم الفرنسي١٨٥٧م .

وفى سنة١٨٨١م صدر مرسوم فرنسي بإلحاق الجزائر إدارياً بفرنسا ، وظلت فرنسا تحكم الجزائر حكماً شاملاً إلى أن قامت الثورة الجزائرية الكبرى التي انتهت بخروج فرنسا من الجزائر وتحريرها من حكم الاستعمار .

وحينما تم غزو مصر من قبل فرنسا عام ١٧٩٨م تنبهت إنجلترا إلى ضرورة الاهتمام بمصر ، حيث شاركت في حمل فرنسا على الجلاء عن مصر ، وبالطبع غادرت القوات الفرنسية مصر عام ١٨٠١م .

ثم حاولت إنجلترا أن يكون لها النفوذ الأعلى في مصر ، فحاولت احتلالها فيما عرف بحملة فريزر عام ١٨٠٧م ، لكنها لم تنجح وانسحبت تحت ضغط المقاومة الشعبية المصرية .

واستمرت محاولات إنجلترا من أجل فرض نفوذها في مصر حتى احتلتها عام١٨٨٢م بدعوى إنقاذ مصر من الفوضى التي انتشرت في البلاد المصرية[١] .

وسيطر اللورد كرومر على مقدرات الأمور في مصر سيطرة كاملة ، واتخذ مواقف مشددة من الحركة الوطنية المصرية ، وعملت بريطانيا على فصل السودان عن مصر منتهزة في ذلك فرصة الثورة المهدية عام ١٨٨١م .

واستمر احتلال الإنجليز لمصر حتى نشبت الحرب العالمية الأولى ، وكانت مصر في ذلك الوقت مازالت من الناحية الشكلية تابعة للسيادة التركية ، فانتهزت إنجلترا فرصة اشتراك تركيا إلى جانب ألمانيا في الحرب ضد الحلفاء ، فأعلنت الحماية البريطانية على مصر وفصلت مصر عن تركيا .

و بناءاً على اتفاقات دولية بين الدول الاستعمارية غزت إيطاليا ليبيا عام ١٩١١م، ولكن الليبيين قاوموا الاحتلال الإيطالي مقاومة عنيفة حتى عام١٩٣١م، ولم تخرج إيطاليا من ليبيا إلا بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية .

---

(١) حاضر العالم الإسلامي صـ٢١٥ .

وكان من بنود اتفاق مؤتمر سايكس بيكو عام ١٩١٦م بين بريطانيا وفرنسا وروسيا ما يلى :

- أن يكون لفرنسا الجزء الأكبر من سوريا ومنطقة الموصل في العراق .
- أن يكون لإنجلترا البلاد الواقعة بين الخليج والمنطقة الفرنسية " العراق وشرق الأردن ثم حيفا وعكا" .
- إنشاء إدارة دولية في فلسطين بسبب وجود الأماكن المقدسة فيها .
- حقوق لروسيا في الأناضول والمضايق .

وفى عام ١٩١٧م أعلنت إنجلترا على لسان وزير خارجيتها اللورد " بلفور " وعداً بإنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين .

وفى عام ١٩٢٠م قررت الدول الاستعمارية ما يلى :

- جعل منطقة شرقي الأردن من نصيب بريطانيا كجزء من دائرة الوصاية على فلسطين .
- فرض الانتداب الفرنسي على كل من سوريا ولبنان .
- فرض الانتداب البريطاني على العراق وفلسطين .

هذا ، ولم يقتصر الغزو الصليبي على تلك البلاد فحسب ، بل امتد كذلك إلى الإمارات والسلطنات في الجزيرة العربية ، حيث قد وقعت معظم السواحل الجنوبية للجزيرة العربية تحت السيطرة البريطانية ، وأطلقت عليها بريطانيا اسم " محميات " وكان فرص بريطانيا من بسط سلطانها على هذه المناطق العربية تأمين سلامة مواصلاتها إلى الهند ، وكانت الهند قد سقطت في يد الاستعمار البريطاني في عام ١٨٥٧م .

آثار الاستعمار في بلاد الإسلام :

أشرنا في بداية حديثنا عن الاستعمار إلى القول بانه ظاهرة تهدف إلى سيطرة دولة قوية على دولة ضعيفة وبسط نفوذها بقصد استغلال خيراتها في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، هذا هو المعنى العام للاستعمار ، ولكن حينما يكون البلد المستعمر بلداً إسلامياً فإن أول ما تمد إليه يد الاحتلال هو إقصاء الشريعة وامتهان الشخصية الإسلامية والحد من التعصب لها أو الحفاظ عليها ، والعمل على تفتيت الوحدة الإسلامية ، وإثارة الفتن وغرس بذور الشقاق، ومحاربة اللغة العربية ونشر اللهجات المحلية ، وبعث قوميات ما قبل الإسلام ، ومناهضة الثقافة الإسلامية ، وغزو المجتمع الإسلامي بالكتب المترجمة التي تهاجم العقيدة وتحض على الرذيلة وتشجع على الإلحاد[١] .

ولعل أصدق دليل على هذا هو ما حدث للخلافة العثمانية التي تآمر الغرب على إسقاطها بعد أن ظلت أكثر من أربعة قرون قلعة شامخة للإسلام والمسلمين تحميهم وتذود عنهم ، من أجل هذا تآمروا على إسقاطها لما يترتب على ذلك من تقسيم المسلمين إلى عرب ينطقون بالعربية وغير عرب ينطقون بلغاتهم المحلية ، وعندئذ يمكن التبشير بالقومية العربية لتوسيع الهوة بين المسلمين ، ثم لكى لا تكون للقومية العربية فاعلية بعد عزل العرب عن غيرهم من المسلمين[٢] .

ثم تلك الحملة التي قام بها مصطفى كمال أتاتورك على الشريعة وقادها هو بنفسه قائلاً " إن الدين المتعلق بالضمير شيء والشريعة التي تريد أن يتجمد المجتمع عند القن السابع الميلادي شيء آخر "[٣] .

---

(١) انظر قوى الشر المتحالفة " الاستشراق – التبشير – الاستعمار " وموقفها من الإسلام والمسلمين – محمد محمد الدهان صـ١٧١ .

(٢) حقيقة العلمانية بين الخرافة والتخريب للأستاذ الدكتور يحي هاشم حسن فرغل صـ٢٩٣ .

(٣) نفس المصدر صـ٢٨٨ .

أما محمود أسعد وزير العدل في حكومة مصطفى كمال فقد هاجم الشريعة ووصفها بأنها قانون الصحراء وقال " إن الشعب التركي جدير بـــأن يفكر بنفسه دون أن يتقيد بما فكر فيه غيره من قبله ، لقد كانت كل مادة مـــن مـــواد كتبنـــا القضائية تبدأ بكلمة قال ، أما الآن فلا يهمنا أصلاً ماذا قالوا في الماضـــي ، بـــل يهمنا أن نفكر نحن وأن نقول نحن ... لا نريد شرعاً فيه قال وقالوا ، كلنا نريـــد شرعاً فيه قلنا ونقول" [١] .

ثم ما حدث في مصر من العبث بمناهج التعليم ، حيـــث قـــد تـــم إخـــلاء المقررات الدراسية من المواد الشرعية .

وفيما يلي نتحدث بالتفصيل عن أهم مكائد الاستعمار في بلادنا الإسلامية:

١- إسقاط الخلافة الإسلامية :

وهم يهدفون من وراء ذلك إلي تفتيت وحدة المسلمين وتقســـيمهم إلـــي عرب ينطقون بالعربية وغير عرب ينطقون بلغاتهم المحليـــة ، وعندئـــذ يمكـــن التبشير بالقومية العربية لتوسيع الهوة بين المسلمين ، ثم لكي لا تكون للقوميـــة العربية فاعلية بعد عزل العرب عن غيرهم من المسلمين.[٢]

والاستعمار حينما دبر لهذا كان يعلم تماما أن هذه الخلافة – مهما كـــان شأنها – إنما تمثل الحزام الذي يجمع بين المسلمين في شتي البقـــاع ، أو أنهـــا الرمز السياسي الذي يجعلهم يتجمعون تحت راية سياسية واحدة.

ثم أنهم يعلمون أيضا أن البقاء علي هذه الخلافة قد يبعث فيهم ما مات منهم علي أيديهم أو قد يعيدهم إلي ما كانوا عليه قبل أن يطالهم شرهم ، أو قد يحرك فيهم بواعث نهضة حضارية جديدة تستطيع أن تنافس الحضارة الغربية الحديثة.

---

(١) نفس المصدر صـــ٢٨٩ .

(٢) حقيقة العلمانية بين الخرافة والتخريب للأستاذ الدكتور يحيي هاشم صـــ٢٩٣ .

وعلي أية حال ، فقد كان ما جري تنفيذاً دقيقاً لما رسمته جيوش الغـزاة من خطط لهدم الخلافة الإسلامية ، إذ كانت هذه الخلافة – كما سبق أن أشرت – بمثابة سور عظيم متعب لجيوش الغزاة الطامعين ، يجمع الشعوب الإسلامية علي اختلاف لغاتها وألوانها وأعراقها وعلي تباعد مواطنها في إطار سياسـي واحـد مهما كان مبلغه من الضعف والرمزية [١] .

وعلي أية حال ، فقد نجح الاستعمار في إسـقاط الخلافـة الإسـلامية ، وانفرط عقد الأمة وضاعت هيبتها ، وتحقق ما تنبأ به رسول الله صلي الله عليه وسلم منذ أربعة عشر قرناً "يوشك أن تتداعي عليكم الأمم كما تتداعي الأكلة إلـى قصعتها ، قالوا : أو من قلة ... إلخ الحديث.[٢]

٢- إحياء فكرة القومية كبديل عن الوحدة الإسلامية :

لقد شبه رسول الله صلي الله عليه وسلم أمة الإسلام في قـوة وحـدتها وشدة تماسكها بالجسد الواحد الذي لا يهدأ ولا يستريح ، ومن بين أعضائه عضو يشكو أو يتألم من شيء .

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم ... إلخ الحديث.[٣]

فالمسلم في مصر يألم لمصاب إخوانه في فلسطين ، والمسلم في أمريكـا يألم لمصاب إخوانه في أفريقيا ، وهكذا في شتي بقاع الأرض يألم المسـلم لمـا يصاب به أخوه المسلم أيا كان موقعه وأيا كان جنسه.

---

(١) انظر أجنحة المكر الثلاثة صـ ٣٢٠ ، ٣٢١ باختصار وتصرف .

(٢) الحديث بتمامه أورده الإمام أحمد في مسنده برقم٢٢٣٩٧– تحقيق الشيخ شعيب الأرنـاؤطى ط / مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م .

(٣) أخرجه البخاري فى صحيحه – كتاب الأدب باب رحمة الناس والبهائم – جـ٥ صـ ٥٦٦٥ – ط / دار ابن كثير للطباعة .

أما فكرة القومية التي خطط لها الاستعمار فقد رفضها الإسلام رفضاً قاطعاً، بل وصفها بكونها منتنة ، ومن ثم فبلال الحبشي كان مؤذناً لرسول الله صلي الله عليه وسلم ، وقال صلوات الله تعالي وسلامه عليه عن سلمان وكان فارسياً " سلمان منا آل البيت " (١) .

وبفضل هذه الرابطة الإيمانية أقام المسلمون دولة مترامية الأطراف في أقل من قرن من الزمان ، ينعم الجميع تحت لوائها بالمحبة والإخاء ، بالعدل والمساواة وهي مع ذلك سد منيع أمام من يحاول أن يخترقه أو يفكر في النيل منه .

ومن ثم فقد لجأ الاستعمار إلي سياسة (فرق تسد) وسرعان ما استجاب لهم قادة المسلمين الذين تمت صناعتهم وأصبحوا يتحدثون بألسنتهم ويأتمرون بأمرهم ، وحلت الرابطة القومية محل الرابطة الدينية وانفصل العرب عن إخوانهم المسلمين في أنحاء المعمورة ،وأصبح كل تجمع أو حتي كل تضامن او تقارب علي اساس العقيدة والدين مظهراً من مظاهر التخلف والرجعية يجب ان تتبرأ منه الجماهير لتكون عصرية تقدمية ، وظهرت الجامعة العربية كبديل عن الجامعة الإسلامية التي لم تستطيع أن تصنع شيئا أمام احتلال فلسطين عام ١٩٨٤م من قبل اليهود ، وبدعم وتأييد أوروبي وأمريكي ، ثم سيطرة إسرائيل علي البقية الباقية منها بما فيها القدس والمسجد الأقصي المبارك ، حيث قد اصبحت القضية

---

(١) الحديث بتمامه ورد في المستدرك علي الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ج ٣ " كتاب معرفة الصحابة " ص ٥٩٨ ط دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان، عن كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده أن رسول الله صلي الله عليه وسلم خط الخندق في عام الأحزاب حتي بلغ المذاجح فقط لكل عشرة أربعين ذراعاً ، فقالت المهاجرون : سلمان منا ، وقالت الأنصار : سلمان منا ، فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم " سلمان منا آل البيت " .

الفلسطينية منذ ذلك الحين قضية قومية تخص العرب وحدهم دون سائر المسلمين، ثم ها هي الآن أصبحت قضية محلية تخص أبناء فلسطين ولا شأن لغيرهم بها حتي وإن كانوا عربا مجاورين .

٣- صناعة الزعيم :

لقد اهتدي الاستعمار بما لديه من الخبث والدهاء إلي أن النخبة الوطنية أقدر وأسرع في تنفيذ مخططاته ومؤامراته ، ومن ثم فقد اخترع ما يسمي بصناعة الأبطال والزعماء ، فهم يعلمون جيداً أنهم لا يستطيعون السيطرة علي بلاد المسلمين ولا الهيمنة عليها إلا من خلال زعماء وعملاء لهم ينفذون أوامرهم ويلبون رغباتهم ، وحتي لا يفتضح أمرهم نراهم يحرصون أشد الحرص علي أن يتعاملوا معهم في منتهي السرية والخفاء .

ولقد كان لمصر نصيب من هذه الزعامة المصطنعة ، حيث قد وقع الاختيار علي سعد زغلول ذلك الذي قام يحارب القومية الإسلامية وينادي بالوحدة الوطنية رافعاً شعار " الهلال يعانق الصليب " ، وقد كان صديقاً للورد كرومر والذي عينه وزيراً للمعارف سنة ١٩٦٠م ، واستمر في هذا المنصب لمدة ثلاث سنوات ، ثم رئيساً للوزراء ، ثم رئيساً لمجلس الأمة " الشعب حاليا " ، وفي سنة ١٩٢٠م سمحت إنجلترا للوفد المصري برئاسة سعد زغلول بالسفر إلي باريس لعرض قضية استقلال مصر ، وعند رجوعه وقفت الجماهير المصرية تحييه ، وخرجت نساء مصر محجبات يرتدين الجلباب الأسود والبراقع البيضاء لا يخالطن الرجال ، واجتمعت بهن هدي شعراوي في الكنيسة المرقصية الكبرى ، واشترط سعد زغلول علي النساء خلع البراقع لحضور خطبته ، فبدأت هدي شعراوي ونزعت البرقع وهو يضحك ، فصفقت هدي شعراوي وصفقت النساء ونزعن البراقع من علي وجوههن استجابة للزعيم الوطني "المصطنع" وأصبح نقاب المرأة أمراً شاذاً بعد ذلك اليوم ، وأخذت المجلات والجرائد والمسلسلات والأفلام

تصور هذا علي أنه حرية وتقدم وازدهار ، ومنذ ذلك الوقت انتشر الاختلاط والسفور ، ولم يعد الأمر مقتصرا علي خلع النقاب وكشف الوجه واليدين ، بل كشفت المرأة المسلمة شعرها وصدرها وفخذيها[١] .

وهكذا نجح أعداء الإسلام والمتربصين به في تجنيد من يحقق لهم ما عجزوا عن تحقيقه علي مر العصور .

أما في تركيا بلد الخلافة الإسلامية فكانت الزعامة من نصيب مصطفي كمال أتاتورك ، ذلك الذي بدأت صناعته بمعركة دبرتها إنجلترا بين تركيا واليونان، وتحارب تركيا الدولتين معا "إنجلترا واليونان" وفجأة ينسحب الإنجليز أمام مصطفي كمال أتاتورك ، ويهرب اليونانيون وينتصر البطل المقدام مصطفي كمال أتاتورك في معركة هائلة – كما صورها – لكن سبحان الله التاريخ يسجل هذه المعركة الهائلة دون أن يسجل قتل رجل واحد من الطرفين ، كيف حدث ذلك؟ لأن التمثيلية لم تكن مكتملة ، وعلي الرغم من ذلك فإن أخبار هذا الانتصار قد انتشرت في العالم بأسره، وأصبح مصطفي كمال أتاتورك هو البطل الذي أعاد لتركيا كرامتها ، وملأت صوره العالم ، وتكررت لقاءاته مع الساسة وكبار علماء الدين ، وأبدي ببراعة تامة حبه للإسلام والمسلمين ، وظهرت صوره في المساجد وهو يصلي في غاية الخشوع والخضوع ، حتي افتتن به المسلمون وتمنوا قيادته لدرجة أن أمير الشعراء أحمد شوقي قد شبهه بخالد بن الوليد وبصلاح الدين ، بل شبه انتصاره بانتصار يوم بدر فقال :

الله أكبر كم في الفتح من عجب	* * *	يا خالد الترك جدد خالد العرب
حذوت حرب الصلاحيين في زمن	* * *	فيه القتال بلا شرع ولا أدب

(١) الخبث والدهاء .. إلخ صـ ١١ ، ١٢ بتصرف .

يـــوم كبدر فخيل الحق راقصـــة *** علي الصعيد وخيل الله في السحب[١]

وبالفعل تم إقصاء السلطان عبد الحميد في ٣ مارس سنة ١٩٢٤م وتسلم الحكم مصطفي كمال أتاتورك ، وفعل ما لم يكن يستطيع الإنجليز أن يفعلوه فـــي سنوات عديدة ، وكان مما فعله ما يلي :

- إلغاء الخلافة الإسلامية وإخراج أفراد الأسرة العثمانية إلي خارج الـــبلاد فـــي ظرف عشرة أيام .
- تم حذف المادة الدستورية التي تنص علي أن الإسلام هو دين الدولة ، وأبطل وظيفة شيخ الإسلام واستبدلها بوظيفة مدير الأمور الدينية ، وأعلـــن فصـــل الدين عن الدولة ، ولم يعد رئيس الجمهورية يقول " أقسم بالله العظيم " فـــي صيغة اليمين التي يحلفها كرئيس للجمهورية ، ولكن يقول "أقسم بشرفي بـــألا أعمل عملاً يضر بسعادة الأمة ولا بسلامة الوطن ولا يمـــس ســـيادة الأمـــة المطلقة التي لا يحدها شرط ولا قيد ، وأقسم بشرفي أن أكون وفيـــاً لمبـــادئ الجمهورية " .
- أمر بكتابة القرآن الكريم باللغة التركية ، وأحل اللغة التركية محل اللغة العربية في الصلوات والدعوات ، فإذا ذكروا الله قالوا " تـــاكري" ويقولـــون " تـــاكري أولودر" أي الله أكبر .
- أمر بإلغاء الحجاب والنقاب وأصبح الالتزام بالزي الإسلامي مظهراً من مظاهر التخلف والرجعية .
- تم استبدال أحكام الشريعة الإسلامية بالقوانين الوضعية ، فكان القانون المدني من سويسرا ، وقانون العقوبات من إيطاليا ، والقانون التجاري مـــن ألمانيـــا

---

(١) الشوقيات للشاعر / أحمد شوقي قسم السياسة والتاريخ والاجتماع قصيدة انتصار الأتـــراك في الحرب والسياسة البيت الأول والخامس والثاني والستون من صـــ ٥٩ – ٦٢ ، ط دار العودة – بيروت – الطبعة الأولي ١٩٨٨م .

وإيطاليا ، وقانون المرافعات من سويسرا وألمانيا ، وقانون الجنايات من ألمانيا .

- تم استبدال التقويم الهجري بالتقويم الميلادي .
- تم إلغاء الأرقام العربية واستبدالها بالأرقام الإفرنجية ، كما تم إلزام الموظفين باستخدام الحروف الإفرنجية بدلاً من العربية ، وعزل كل موظف يخالف ذلك ، أما المسجونون فلا يتم الإفراج عنهم بعد انتهاء مدة عقوبتهم إذا لم يتعلموا القراءة والكتابة بالحروف الإفرنجية .
- منع ارتداء الطربوش بالنسبة للموظفين في٣ سبتمبر سنة ١٩٢٥م ، وبالنسبة لكافة الأتراك في ٢٠ نوفمبر من العام نفسه، وتم استبداله بالقبعة .
- تم استبدال العطلة الأسبوعية بيوم الأحد بدلاً من يوم الجمعة ، كما تم استبدال التحية الشرقية بالتحية الغربية ، حيث أصبحت التحية بالإشارة بالرأس ، داخل المكاتب الحكومية وبرفع القبعة في الشوارع العمومية[١] .
- وهكذا تحولت تركيا قلعة الإسلام ودولة الخلافة الإسلامية علي يد هذا الزعيم المصطنع من قبل الاستعمار إلي دولة غربية علمانية تحارب الإسلام ، وتعد الالتزام بتعاليمه مظهراً من مظاهر الجهل والتخلف ، مما دفع أمير الشعراء الذي وضعه في منزلة كبار الصحابة في إحدى قصائده إلي تراجعه وذمه في قصيدة رثاء الخلافة حيث قال :

عادت أغاني العرس رجع النواح *** ونعيت بين معالم الأفراح
كفنت في ليل الزفاف بثوبه *** ودفنت عند تبلج الإصباح

(١) انظر الدين والدولة في تركيا "صراع الإسلام والعلمانية" للدكتور كمال السعيد حبيب صـ١٣٠– ١٣٢ باختصار وتصرف ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٩م ، وانظر أيضا الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر للدكتور محمد سيد محمد صـ ١٤٢ بتصرف – ط دار الفكر العربي – الطبعة الأولي – ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .

ضـجت عليـك مـآذن ومنـابر *** وبكـت عليـك ممالـك ونـواح
الهنـد وآلهـة ومصـر حزينـة *** تبكـي عليـك بمـدمع سـحاح
والشـام تسـأل والعـراق وفـارس *** أمحـاص الأرض الخلافـة مـاح
يـا للرجـال لحـرة مـوءودة *** قتلـت بغـير جريـرة وجنـاح
هتكـوا بأيـديهم ملاءة فخـرهم *** موشـية بمواهـب الفتـاح
هـم أطلقـوا يـده كقيصـر فـيهم *** حـتي تنـاول كـل غـير مبـاح[1]

ثانيا: الغزو الفكري " الاستشراق والتبشير والتغريب "

١- الاستشراق :

كان فشل الصليبين في حملاتهم المتوالية علي الشرق الإسلامي دافعـا إلي المزيد من الاهتمام بالدراسات الشرقية ، وقد ظهرت مؤخرا وثيقة هامة تلقي الضوء علي تحول الصليبيين عن فكرة الغزو العسكري إلي الغزو الفكري ، وهذه الوثيقة تتضمن وثيقة لويس التاسع ملك فرنسا وقائـد الحملـة السـابعة التـي استولت علي دمياط وانتهي الأمر بهزيمتها في المنصورة ، ووقوع لـويس فـي الأسر وسجنه بدار ابن لقمان ، لما عاد إلي فرنسا بعد أن قدم فدية مالية كبيـرة لفك أسره ، دعا إلي ضرورة تكتل جهود الأوروبيين لتشـويه صـورة الإسـلام وإفساد عقيدة المسلمين التي هي سر قوتهم وتفوقهم ، وأنه لا غني للأوروبيـين عن هذا الغزو الفكري إذا ما أرادوا التغلب علي المسلمين الـذين لا سـبيل إلـي التغلب عليهم عن طريق القوة العسكرية[2] .

---

(١) الشوقيات أحمد شوقي قصيدة رثاء الخلافة الإسلامية جـ ١ قسـم السياسـة والتـاريخ والاجتماع صـ ١٠٥ – ١٠٦ – ط دار العودة بيروت – الطبعة الأولي ١٩٨٨م .

(٢) انظر قوي الشر المتحالفة "الاستشراق – التبشير – الاستعمار" وموقفها من الإسلام والمسلمين لفضيلة الشيخ محمد محمد الدهان المدير العام بالأزهر الشريف سابقا صـ ٥٠ بتصرف .

ولقد اجتهد الأوروبيون في وضع خطتهم من أجل تنفيذ هذه الوصية ، فشجعوا علي تعلم اللغة العربية كوسيلة للتعرف علي ما في بطون المصادر الإسلامية من أجل التشكيك فيها أو الطعن في محتوياتها ، ولقد انكب الكثيرون ممن جندهم الغرب لهذه المهمة علي تعلم اللغة العربية ، ومن ثم علي دراسة كتب التراث الإسلامي ونبغوا في ذلك حتي استطاعوا أن يتصيدوا من تلك الكتب ما يمكن أن يخدع به أنصاف المثقفين من المسلمين أو من هم تربوا في أحضانهم وصاروا عبيدا لهم ورهن إشارتهم .

ولم يتنبه هؤلاء ولا أولئك إلي سوء نيتهم وإلي الشر الذي يبيتونه لأمتهم، فاصبحوا أدوات لتنفيذ خطة الأعداء داخل بلادهم .

علي أن هؤلاء المستشرقين لم يكتفوا بمجرد البحث والتنقيب في المصادر الإسلامية ، بل رأيناهم يتجهون إلي الكتابة والتأليف وإلقاء المحاضرات وعقد المؤتمرات وإنشاء المدارس والجامعات وإصدار الصحف والمجلات وغير ذلك مما ساهم في نجاح فكرتهم وتحقيق أهدافهم .

أما عن كتاباتهم ومؤلفاتهم فيكفي أن نشير إلي أهمها فيما يلي :

١- " محمد ومطلع الإسلام " صدر سنة ١٩٠٥م للمستشرق د.س مرجوليوث (D.S.Margoliouth) إنجليزي متعصب ضد الإسلام والمسلمين ، كان عضواً بالمجمع اللغوي المصري ، والمجمع العلمي في دمشق ، وهو من محرري دائرة المعارف الإسلامية .

٢- " دعوة المئذنة " صدر في عام ١٩٥٦م للمستشرق كينيت كراج (K.Gragg) أمريكي شديد التعصب ضد الإسلام ، قام بالتدريس في الجامعة الأمريكية بالقاهرة لفترة من الوقت ، وتولي تحرير مجلة "العالم الإسلامي" الأمريكية ، ورئاسة قسم اللاهوت المسيحي في هارتفورت .

٣-" الحلاج الصوفي الشهيد في الإسلام " صدر في عام ١٩٢٢م ، للمستشرق الفرنسي لوي ماسينون (L.Massinon) عمل مستشاراً بوزارة المستعمرات الفرنسية في شئون شمال أفريقيا ، وخدم بالجيش الفرنسي لمدة خمس سنوات، وكان عضوا في المجمع اللغوي المصري ، والمجمع العلمي في دمشق .

٤-" تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية في الإسلام " صدر في سنة ١٩٠٣م، للمستشرق الأمريكي د.ب ماكدونالد (D.B.Macdonald) من أشد المتعصبين ضد الإسلام والمسلمين، ومن كبار محرري دائرة المعارف الإسلامية.

٥-" عقيدة الإسلام " صدر في سنة ١٩٣٢م ، للمستشرق أ.ج فينسينك (A.J. Wensink) كان عضواً بالمجمع اللغوي المصري ، ثم أخرج منه بعد الأزمة التي أثارها الدكتور الطبيب حسين الهواري مؤلف كتاب " المستشرقون والإسلام " الذى تم تأليفه بعد أن نشر فينسينك رأيه في القرآن والرسول مدعيا أن الرسول ألف القرآن من خلاصة الكتب الدينية والفلسفية السابقة .

٦-" متصوفوا الإسلام " صدر في سنة ١٩١٠م ، للمستشرق الإنجليزي ر. أ. نيكولسون (R.A.Niekolson) شارك في تحرير دائرة المعارف الإسلامية ، وكان عضواً في المجمع اللغوي المصري .

٧-" الحرب والسلام في الإسلام " وهو كتاب مشحون بالطعون والأخطاء صدر في سنة ١٩٥٥م ، للمستشرق (مجيد قدوري) وهو مسيحي عراقي ، متعصب حقود علي الإسلام والمسلمين ، تولي رئاسة قسم دراسات الشرق الأوسط بجامعة جون هوبكنز في واشنطن ، ثم مديرا لمعهد الشرق الأوسط للأبحاث والتربية .

٨-" الأعياد المحمدية" صدر في عام ١٩٥١م ، للمستشرق الألماني اليهودي (غ.فونجرونباوم) (G.VonGrunbaum) وهو من ألد أعداء الإسلام والمسلمين ، عمل أستاذا بجامعة شيكاغو ، وله أيضاً كتاب "دراسات في تاريخ الثقافة الإسلامية" سنة ١٩٥٤م ، و "الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية" سنة ١٩٥٥م .

٩-" العقيدة والشريعة في الاسلام" صدر في عام ١٩٦٠م ، للمستشرق اليهودي المجري جولد تسيهر Gold Ziher من أخطر المستشرقين وأشدهم هجوماً علي الديم الإسلامي ، ومن ثم فقد جاء هذا الكتاب مشحونا بالطعون والأخطاء المتعمدة ، والتي دفعت فضيلة الشيخ محمد الغزالي إلي تأليف كتابه دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين[١] .

تلك هي أهم وأخطر كتب المستشرقين فيما يتعلق بالتراث الإسلامي ، ولا يخفي أن الهدف من كل هذه الدراسات هو تشكيك المسلمين في تراثهم وفي مصادر شريعتهم ، وفي مقدمة هذه المصادر القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

علي أن هذه المؤلفات وإن كان لها من تأثير علي بعض أصحاب النفوس المريضة ومن توفرت لديهم الجاهزية المسبقة لتقبلها وترويجها ، إلا أن الغالبية العظمي من المسلمين قد لفظوها ولم يلتفتوا إليها ، ومرجع هذا من وجهة نظري إلي أمرين :

---

(١) انظر :الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم للدكتور مصطفي السباعي ، ط دار الوراق للنشر والتوزيع من صـ ٣٨ – ٤٩ باختصار وتصرف ، "آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية" للدكتور محمد خليفة حسن صـ ١٠٣ – ١٠٤ باختصار وتصرف ط عين للنشر والتوزيع .

أولهما : أن الله تعالي قد تكفل بحفظ دينه ، ومن ثم فإن كل محاولة تهدف إلي النيل منه سيكون فشلها أمراً محققاً ولازماً .

ثانيهما : أن هؤلاء قد مكروا بهذه الأمة وبيتوا لها ما لا يرضي من القول ، والله تعالي قد أخبر في كتابه بأن المكر السيء لا يحيق إلا بأهله وصدق الله العظيم إذ يقول "يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبي الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون" .(١)

وأما فيما يتعلق بالمدارس والجامعات ، فما من بلد من البلاد الإسلامية – تقريبا – إلا وقد أخذ نصيبه منها كاملاً غير منقوص ، فهناك الجامعة الأمريكية بفروعها المختلفة في كل من القاهرة واسطنبول ودبي وبيروت ، وهناك المدارس الثانوية التي تفوق الحصر ومنها علي سبيل المثال مدرستان في محافظة واحدة فقط وهي محافظة أسيوط إحداهما هي مدرسة الأمريكان (السلام حاليا) والثانية هي مدرسة الفرنسيسكان والتي مازالت تحمل هذا الاسم إلي هذه اللحظة ، ومع كل هذا نجد أن الغرب يسعي سعيا دؤوبا إلي إغلاق المعاهد والمؤسسات الدينية في كثير من البلدان الإسلامية ومنها علي سبيل المثال معهد العلوم الإسلامية والعربية في كل من إندونيسيا وموريتانيا وجيبوتي واليابان وأمريكا خمسة معاهد إسلامية كانت فروعا لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية ، وقد صدرت الأوامر الغربية بإغلاقها منذ سنوات وعلي وجه التحديد بعد أحداث ١١سبتمبر بذريعة أن كلا منها يعد بؤرة للإرهاب والتطرف ، ولقد كنت عضوا من أعضاء هيئة التدريس بالفرع الذي أسس في الجمهورية الإسلامية الموريتانية والذي تم إغلاقه في عام ٢٠٠٣م ويشهد الله أن المناهج التي كنا نقوم بتدريسها كانت في قمة الاعتدال والوسطية ، كما كان الأساتذة

---

(١) سورة التوبة الآية رقم ٣٢ .

القائمون علي تدريس هذه المناهج بعيدين كل البعد عما يزعمون ، وعلي الرغم من هذا فقد أغلق هذا المعهد كما أغلق غيره ، ورفضت السلطات الموريتانية – حينذاك – كما ذكرت جريدة الحياة السعودية[١] تلك الجهود المبذولة من بعض الأطراف الموريتانية لثنيها عن قرار إغلاق المعهد ، وكان لابد أن ترفض تلك الجهود ، وذلك لأن الباب العالي كان هو صاحب ذلك القرار ، وتم تسليم مذكرة فسخ الاتفاق الموقع من الحكومتين السعودية والموريتانية والتي تفيد بإنهاء وجود المعهد ، وقد أعطيت الحكومة الموريتانية فرصة لأعضاء الهيئة التعليمية مدتها أربعة عشر يوما لمغادرة موريتانيا نهائيا والعودة إلي بلادهم .

والسؤال الآن : هل توقف الإرهاب بعد إغلاقهم لهذه المعاهد التي كانت تصدره كما يزعمون ؟ كلا لم ولن يتوقف لماذا ؟ لأن الإرهاب الذي يتحدثون عنه إنما هو صناعة غربية تم صنعه تحت إشراف ورعاية الولايات المتحدة الأمريكية، يبررون به تدخلاتهم في شئوننا بين الحين والآخر .

٢- التبشير (التنصير) :

التبشير هو الجناح الثاني من أجنحة الغزو الفكري ، وقد شاع إطلاقه علي تلك المنظمات الدينية النصرانية التي تستهدف تعليم الدين النصراني ونشره بين الأمم وعلي وجه الخصوص في المجتمعات الإسلامية[٢] .

---

(١) انظر لعدد رقم ١٤٦٩٢ بتاريخ ٢٠٠٣/٦/١٥م صـ ٦ .

(٢) انظر: الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة للأستاذ الدكتور عبد المعين سعد الدين هنيدي صـ١٢١ ط دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع – الطبعة الثانية ٢٠١٠م ، وانظر أيضا التيارات الفكرية دراسة وتحليل للأستاذ الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح والأستاذ الدكتور سامي عفيفي حجازي صـ ١٢٤ ط مكتبة الثقافة الدينية – الطبعة الأولي ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م ، وانظر : حاضر العالم الإسلامي للمستشار الدكتور علي جريشة صـ ٤٦ ، ٤٧ ط مكتبة وهبة للطبع والنشر – الطبعة السادسة ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .

ويري بعض الباحثين أن إطلاق اسم التبشير علي هذه الدعوة لا وجه له وذكر لذلك سببين :

الأول : أنه تبشير بتعاليم نصرانية محرفة لا تمت لديانة المسيح عليه السلام بصلة ، وبالتالي لا يجوز وصف مثل هذه الدعوة بالتبشير .

الثاني : أن هذه الدعوة استهدفت العالم الإسلامي قبل غيره ، وهي تدرك أن الإسلام هو العامل الأساسي في قوة الأمة وتماسكها ومناعتها ضد الاستسلام للصليبية والخضوع لسطوتها ، ولما كان الإسلام هو الدين الحق الذي ارتضاه الله عز وجل للبشرية دون سواه ، فإن كل دعوة تستهدف هذا الدين أو تنال منه لا يجوز لنا بحال من الأحوال أن نصفها بالتبشير بل بالتخريب والتدمير[١] .

إلا أنني وإن كنت أقدر هذا الرأي وأحترمه ، إلا أنني أري أن هذا المصطلح وإن كان قد استخدم استخداما خاطئا ، إلا أن هذا كان من جانبهم وليس من جانبنا وبالتالي فهو لا يعبر إلا عن وجهة نظر أصحابه فحسب ، أما نحن فلنسمه ما نشاء ، فإن شئنا أسميناه تنصيراً وإن شئنا أسميناه تخريبا وإن شئنا أسميناه غير ذلك من المسميات التي تليق به وتنطبق عليه .

وأيا ما كان هذا المسمى أو ذاك فإن أصحابه أو القائمين عليه كانوا ولا زالوا يخططون من أجل تشويه العقيدة الإسلامية أو جذب من يمكنهم جذبه من أبناء المسلمين ، وبالطبع لابد أن تكون هناك وسائل أو قنوات يمكنهم من خلالها أن يحققوا أهدافهم ويصلوا إلي مآربهم ، وكان من أبرز هذه الوسائل ، وتلك القنوات ما يلي :

---

(١) بحث بعنوان "التبشير : أهدافه ووسائله " للدكتور راضي عبد الرحيم بكري حولية كلية أصول الدين والدعوة صـ٣ العدد الخامس عشر صـ١٨٣ – ١٤١٧هـ /١٩٩٧م ط الأمانة .

- **التطبيب** :

وقد كان لهم فيه باع طويل ، حيث أنشأوا العديد من المستشفيات وزجوا بأبنائهم وبناتهم في كلية الطب دون سائر الكليات ، ومن ثم فقد أصبح لديهم عدد لا بأس به من الأطباء والطبيبات ، وانتشروا في القري والنجوع والأماكن النائية في سائر المحافظات ، متفانين في تنصير المسلمين والمسلمات ، مستغلين في ذلك الفقر والجهل وغير ذلك من المؤثرات ، أضف إلي ذلك ما عقدوه من المؤتمرات ، وما قاموا به من الحملات والبعثات من أجل تحديد النسل وقد اخترعوا لذلك الوسائل والأدوات ، وبخبث شديد يروجون أن ذلك في مصلحة الآباء والأمهات ، حتي استمالوا الكثيرين من ذوي الحاجات ، واستجاب لهم العديد من المثقفين والمثقفات، وظنوا أنهم ملائكة هبطوا من السموات ، وتالله إنهم لشرذمة من أخبث المخلوقات ، يصدون الناس عن سبيل الله ويخرجونهم من النور إلي الظلمات .

- **الجمعيات الخيرية** :

هي الوسيلة الثانية من وسائل التنصير لدي المسيحيين ، وكانت أول جمعية أسست للتنصير هي جمعية لندن التبشيرية التي أسست عام ١٧٩٥م ، ثم تتابعت الجمعيات التبشيرية في اسكتلندا ونيويورك والدنمارك وهولندا والسويد والنرويج وسويسرا وغيرها من بلاد الغرب[١] .

وفي تقرير أمريكي نشرته جريدة "المصريون" أن عدد الجمعيات والمنظمات التنصيرية بلغ قرابة ألف منظمة وجمعية ، منها قرابة ثلاثمائة تقيم في مصر بشكل رسمي ودائم ، ويعمل بها مالا يقل عن خمسة آلاف مصري ، وألف وخمسمائة أجنبي .

---

(١) الغارة علي العالم الإسلامي صـ ٣٢ – ٣٣ .

علي أن هذا التقرير قد مضي عليه أكثر من سبع سنوات حيث كشفت نفس الجريدة مؤخرا عن وجود ١٦٠٠ جمعية قبطية في مصر فقط وأن المعلن عنه منها لا يزيد علي ٧٠٠ جمعية ، بينما هناك أكثر من ٩٠٠ جمعية تعمل في الخفاء ، كما ذكرت أيضا أن جميع هذه الجمعيات سواء كانت معلنة أو غير معلنة تحظي بدعم خارجي وداخلي كبير ، أما الداخلي فيتمثل في رجال الأعمال الأقباط وعلي رأسهم نجيب ساويرس ، وأما الدعم الخارجي فيتمثل في أقباط المهجر الذين يمولون الكنائس المصرية ، ثم تتولي هذه الكنائس تمويل الجمعيات المعلن عنها ، هذا بالإضافة إلي الأقباط المهاجرين بالخارج في استراليا وأوروبا والأمريكتين حيث يقومون بتمويل بقية الجمعيات بشكل مباشر وشخصي.

وعقب القرار الذي صدر من الحكومة المصرية بشأن إغلاق بعض الجمعيات الخيرية الإسلامية ، صرح الأنبا بولس رئيس المجلس الأكليريكي وأسقف طنطا وتوابعها بأن الجمعيات القبطية تفتح أبوابها أمام المتضررين من إغلاق الجمعيات الإسلامية قائلاً (المسيح يشمل الجميع وأهلا بكم والجمعيات المسيحية ستتكفل بكم)[١] .

وفي ذلك الوقت أكد خالد سعيد المتحدث باسم الجبهة السلفية أن نحو ربع مليون أسرة مصرية معرضة للجوء للجمعيات القبطية المتهمة بالقيام بأعمال أخري في الخفاء مثل التنصير ، مؤكداً رصد عدة حالات تنصير في عدة محافظات مصرية[٢] .

---

(١) موقع شمس الإسلام www.facebook.com/shams.aleslam .

(٢) موقع المسلم www.almoslim.net .

- المدارس والجامعات :

يقول إقبال : (إن التعليم هو الحامض الذي يذيب شخصية الكائن الحي ثم يكونها كما يشاء ، إن هذا الحامض هو أشد قوة وتأثيراً من أي مادة كيميائية ، هو الذي يستطيع أن يحول جبلاً شامخاً إلي كومة تراب)[١] .

ويقول الشاعر الإسلامي " أكبر" الاله آبادي : (يا لبلادة فرعون الذي لم يصل تفكيره إلي تأسيس الكليات ، وقد كان ذلك أسهل طريق لقتل الأولاد ، ولو فعل ذلك لم يلحقه العار وسوء الأحدوثة في التاريخ)[٢] .

ولقد أدرك المنصرون هذه الحقيقة إدراكاً كاملاً ، فراحوا يعدون العدة ويخططون لتنفيذ الفكرة ، وهداهم شيطانهم إلي أن مصر بما أنها بلد الأزهر ومعقل العلم والعلماء هي خير الأماكن التي تخدم فكرتهم وتحقق أهدافهم .

وكان القسيس "زويمر" رئيس إرسالية التبشير العربية في البحرين هو أول من ابتكر فكرة عقد مؤتمر عام يجمع كل إرساليات التبشير البروتستانتية للتفكير في مسألة نشر الإنجيل بين المسلمين ، وفي سنة ١٩٠٦م ، أذاع اقتراحه وأبان الكيفية التي يكون بها ، فوضعت هذه الفكرة علي بساط البحث في "ميسور" من ولاية "أكرا" في الهند ، لأن هذه الولاية ذات أهمية كبري من حيث المسائل الإسلامية لوجود مدرسة "عليكر" هناك ، وفي يوم ٤ أبريل من سنة ١٩٠٦م افتتح المؤتمر في القاهرة في منزل عرابي باشا في باب اللوق ، وبلغ عدد مندوبي إرساليات التبشير ٦٢ بين رجال ونساء ، وكان عدد مندوبي إرساليات

---

(١) نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية للسيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ص٣٦ ط دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة الأولي ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م .

(٢) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية للسيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ص١٩٠ ط دار القلم للنشر والتوزيع – الطبعة السادسة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

التبشير الأمريكية التي في الهند وسوريا والبلاد العثمانية وفارس ومصر واحداً وعشرين ، ومندوبي إرساليات التبشير الإنجليزية خمسة ، واشتركت في المؤتمر الإرساليات الاسكتلندية ، والألمانية ، والهولندية ، والسويدية والدنماركية ، وانتخب القسيس زويمر رئيسا للمؤتمر ، وحددت أيام الجلسات ، وكان من أبرز المسائل التي تفاوضوا فيها : (ملخص إحصائي عن عدد المسلمين في العالم – الإسلام في أفريقيا – الإسلام في السلطة العثمانية – الإسلام في الهند – الإسلام في فارس – الإسلام في الملايو – الإسلام في الصين – النشرات التي ينبغي إذاعتها بين المسلمين المتنورين والمسلمين العوام – التنصير – الارتداد – وسائل إسعاف المتنصرين المضطهدين – شئون نسائية إسلامية – موضوعات تتعلق بتربية المبشرين والعلاقات بينهم وكيفية التعليم في الإسلام) .

وقد أفاض أحد أعضاء المؤتمر في وصف ما للجامع الأزهر من نفوذ وإقبال الألوف عليه من الشبان المسلمين من كل أقطار العالم الإسلامي ، وتساءل عن سر نفوذ هذا الجامع منذ ألف سنة إلي الآن ، ثم قال : (إن السنيين من المسلمين رسخ في أذهانهم أن تعليم العربية في الجامع الأزهر متقن ومتين أكثر منه في غيره ، والمتخرجون في الأزهر معروفون بسعة الاطلاع علي علوم الدين، وباب التعليم مفتوح في الأزهر لكل مشايخ الدنيا خصوصا وأن أوقاف الأزهر الكثيرة تساعد علي التعليم فيه مجاناً ، لأن في استطاعته أن ينفق علي ٢٥٠ أستاذاً) ، ثم تساءل عما إذا كان الأزهر يتهدد كنيسة المسيح بالخطر ، وعرض اقتراحاً يريد به إنشاء مدرسة جامعة نصرانية تقوم الكنيسة بنفقاتها ، وتكون مشتركة بين كل الكنائس المسيحية في الدنيا علي اختلاف مذاهبها ، لتتمكن من مزاحمة الأزهر بسهولة ، وتتكفل هذه المدرسة الجامعة بإتقان تعليم اللغة العربية ، ثم قال : إن في الإمكان مباشرة هذا العمل في دائرة صغيرة ، وهي أن تخص أولا بتعليم المسلمين المتنصرين وتربيتهم تربية إسلامية ليتمكن

هؤلاء من القيام بخدمة جليلة في تنصير المسلمين الآخرين[١] .

ومؤتمر القاهرة ليس إلا واحداً من تلك المؤتمرات العديدة التي عقدت وما زالت تعقد في العالم الإسلامي ــ وجميعها تهدف إلي البحث عما هو جديد في مجال التنصير ، ومن ثم فلم تمض سوي بضع سنوات علي مؤتمر القاهرة حتي رأيناهم يتأهبون لعقد مؤتمر جديد ، وقد وقع اختيارهم هذه المرة علي "أدنبرج" وكان ذلك في عام ١٩١٠م ، وقد ورد في مقالة نشرتها مجلة الشرق المسيحي تحت عنوان " الشرق المسيحي وإرساليات تبشير المسلمين" أن عدد إرساليات التبشير العامة في ذلك الوقت قد بلغ ٣٨٣٨ ، والإرساليات التي في الدرجة الثانية ٣٤٧١٩ ، وعدد الأساتذة والتلاميذ ١,٤١٢,٠٤٤ ، أما الجامعات والكليات فصار عددها ٨٨ ، ولدي المبشرين ٥٢٢ مدرسة دينية لتخريج المبشرين والمعلمين ، وعدد المدارس العليا ١٧١٤ فيها ١٦٦,٤٤٧ طالباً ، وعندهم ٣٠,١٨٥ مدرسة ابتدائية ، عدد تلاميذها ١,٢٩٠,٣٥٧ تلميذاً[٢] .

٣- التغريب

التغريب هو الجناح الثالث من أجنحة الغزو الفكري الصليبي للعالم الإسلامي ، وهو من المصطلحات المستحدثة التي صاغها الكتاب والمفكرون في العصر الحديث ، وذلك بعد شعور البعض بتفوق الغرب وما نتج عنه من الانبهار بالثقافة الغربية والعمل علي تقليد أصحابها ومحاكاتهم والأخذ بأساليب حياتهم ، لدرجة أنهم أخذوا ينظرون إلي الثقافة الغربية وما تشتمل عليه نظرة إعجاب وإكبار، وأن الأخذ بها هو الطريقة المثلي لتقدم أمتهم أو جماعتهم[٣] .

---

(١) الغارة علي العالم الإسلامي للمؤلف أ. لشاتلير A.L.Chatelier صـ ٤٩ – ٥٨ باختصار شديد ، تم تلخصيه ونقله إلي العربية بواسطة مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب – ط الدار السعودية للنشر – الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ .

(٢) نفس المصدر صـ ١١ – ١٣ باختصار وتصرف .

(٣) محمد بن قرني : "تغريب مجتمعاتنا " www.islammeassage بتاريخ ٢٠٠٥/١١/١٢م نقلا من الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة صـ٨٧ .

أو هو تيار فكري ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية يرمي إلي صنع حياة الأمم بعامة والمسلمين بخاصة بالأسلوب الغربي ، وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم وجعلهم أسري التبعية الكاملة للحضارة الغربية[١] .

ومن ثم يتضح لنا أن التغريب لفظ مستحدث في اللغة العربية ، وقد تمت صياغته من قبل الكتاب والمفكرين في العصر الحديث ، وذلك حينما ظهر في الشرق بعض المعجبين بالثقافة الغربية واعتبارها سفينة النجاة التي من تخلف عنها كان مصيره الضياع والهلاك .

وقد أدرك المبشرون والمستشرقون عقدة الشهادات في البلاد الإسلامية ، فوجهوا توصياتهم للجامعات الغربية بشراء من يستطيعون شراءه من أبناء المسلمين بالشهادات ، فقد جاء في كتاب "المشكلة الشرقية" ما يلي : (لا شك أن المبشرين قد فشلوا تماما فيما يتعلق بتخريب وتشويه عقيدة المسلمين ، ولكن هذه الغاية يمكن الوصول إليها من خلال الجامعات الغربية ، فيجب أن تختار طلبة من ذوي الطبائع الضعيفة والشخصية الممزقة والسلوك المنحل من الشرق ــ ولا سيما من البلاد الإسلامية ، وتمنحهم المنح الدراسية ليكونوا المبشرين المجهولين لنا لتأسيس السلوك الاجتماعي والسياسي الذي نصبوا إليه في البلاد الإسلامية ، إن اعتقادي لقوي بأن الجامعات الغربية يجب أن تستغل استغلالاً تاماً جنون الشرقيين للدرجات العلمية والشهادات ، واستعمال امثال هؤلاء الطلبة كمبشرين ووعاظ ومدرسين لأهدافنا ومآربنا باسم تهذيب المسلمين والإسلام)[٢] .

ولقد استجابت الجامعات الغربية الصليبية لهذه التوجيهات ، ولم تغفل تلك التوصيات ، وفتحت أبوابها أمام الدارسين والدارسات ، ورحبت بالبعثات ،

---

(١) عمر التوبي الشيباني "التغريب والغزو الصهيوني" مقال بمجلة الثقافة العربية الليبية العدد ١٠٠ لسنة ١٩٨٢م .

(٢) نقلا من أجنحة المكر الثلاثة صـ ١٥٢ .

ومنحت أصحابها أرفع الدرجات ، ولقنتهم ما تريد من التعليمات ، ليعودوا إلي بلادهم وهم ناقمون علي الملتزمين والملتزمات ، ويفعلوا مالم يستطع أن يفعله المبشرون والمبشرات .

يقول سارتر[1] : (كنا نحضر أبناء رؤساء القبائل وأبناء الأشراف والأثرياء والسادة من أفريقيا وآسيا ، ونطوف بهم عدة أيام في لندن وباريس وأمستردام ، فتتغير ملابسهم ويلتقطون بعض أنماط العلاقات الاجتماعية الجديدة ، ويرتدون السترات والسراويل ، ويتعلمون لغتنا وأساليب رقصنا وركوب عرباتنا ، وكنا نزوج بعضهم من أوروبا ، ونلقنهم أسلوب الحياة علي أساس جديد وطرز جديدة من الزينة ، واستهلاك اوروبي وغذاء أوروبي ، كما نضع في أعماق قلوبهم أوروبا ، والرغبة في تحويل بلادهم إلي أوروبا ، ثم نرسلهم إلي بلادهم حيث يرددون ما نقوله بالحرف تماما مثل الثقب الذي يتدفق منه الماء في الحوض ، هذه أصواتنا تخرج من أفواههم وحينما كنا نصمت كانت ثقوب الأحواض هذه تصمت أيضاً ، وحينما كنا نتحدث كنا نسمع انعكاساً صادقاً وأميناً لأصواتنا من الحلوق التي صنعناها ، وكنا واثقين أن هؤلاء المفكرين لا يملكون كلمة واحدة يقولونها غير ما وضعنا في أفواههم ..)

لكننا نقول لسارتر وأنصاره : افعلوا ما شئتم فنحن مستيقظون ، ومهما نبحت كلابكم فنحن بفضل الله سائرون ، وبنصره سبحانه واثقون ، فأنفقوا من أموالكم ما تستطيعون ، فستنفقونها ثم تكون عليكم حسرة ثم تغلبون ، وإلي أمكم جهنم سوف تحشرون .

---

(١) الفيلسوف جان بول سارتر في مقدمة كتابه "المذنبون في الأرض" نقلا من "حقيقة العلمانية بين الخرافة والتخريب" صـ ٢٦٩ – ٢٧٠ .

أشهر رواد التغريب في العالم الإسلامي

١- مصطفى كمال أتاتورك :

تولي منصب رئاسة الجمهورية منذ التاسع والعشرين من أكتوبر عام ١٩٢٣م إلي أن توفي في العاشر من نوفمبر عام ١٩٣٨م .

ولد في سلانيك سنة ١٨٨٠م من امرأة تسمي زبيدة وأب يدعي علي رضا أفندي ، وكان متطوعا في صفوف العساكر المليكة برتبة ملازم أول ، توفي أبوه وهو في السابعة والأربعين من عمره فاضطرت زبيدة هانم التي فقدت معيلها إلي أن تذهب مع ابنها مصطفي وابنتها مقبولة إلي مزرعة خالها أو أخيها الكبير حسين أغا .

أرسل مصطفي إلي المدرسة الملكية ثم الرشيدية العسكرية ، وفي مدرسة الرشيدية العسكرية اطلق عليه اسم مصطفي كمال فقد كان يحمل اسم مصطفي فقط، إلا أن أستاذ الرياضيات وكان يسمي مصطفي أضاف إليه كمال بغرض التمييز بين كليهما وقال له : كن أنت كمال .

وفي الخامسة عشر من عمره أنهي تعليمه بالرشيدية العسكرية ليلتحق بعدها بالثانوية العسكرية ، وفي هذه الأثناء تزوجت أمه من أحد الموظفين ، وفي الثامنة عشر من عمره يأتي إلي إسطنبول للالتحاق بالكلية الحربية التي تخرج فيها عام ١٩٠٤م ، وبعد تخرجه عين ضابطا في الجيش الثالث ، وفي عام ١٩٠٦م أسس مصطفي كمال "جمعية وطن وحرية" تلك الجمعية التي انضم إليها مجموعة من الضباط في ذلك الوقت ، وعقب تأسيس هذه الجمعية ذهب إلي سلانيك والتحق بجمعية الاتحاد والترقي ، تلك التي كانت تتبني الأفكار الغربية وتستخدم الشعارات الدينية لكسب المزيد من الأنصار وقد نجحت هذه الجمعية في

تحقيق أهدافها حيث تم عزل السلطان عبد الحميد من منصبه وإعلان الجمهورية التركية عام ١٩٢٣م[١] .

وفي نفس العام قررت الحكومة التركية الجديدة بزعامة مصطفي كمال ما سبق أن أشرنا إليه أثناء الحديث عن أثار الاستعمار في بلاد الإسلام[٢] .

٢- رفاعة رافع الطهطاوي :

ولد رفاعة رافع الطهطاوي في الخامس عشر من شهر أكتوبر سنة ١٨٠١م بمدينة طهطا احدي مدن محافظة سوهاج بصعيد مصر ، ينتهي نسبه من جهة أبيه إلي الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، وأمه فاطمة بنت الشيخ أحمد الفرغل وينتهي نسبها إلي قبيلة الخزرج الأنصارية[٣] .

سافر إلي القاهرة ليلتحق بالأزهر وهو في السادسة عشر من عمره ، وشملت دراسته في الأزهر الحديث والفقه والتفسير والنحو والصرف وغير ذلك من العلوم ، وفي عام ١٨٢٦م تم ابتعاثه إلي فرنسا بعد أن اختاره شيخ الجامع الأزهر " الشيخ العطار" إماماً للدفعة المبتعثة في عهد محمد علي .

وفي فرنسا تعلم رفاعة اللغة الفرنسية ، ثم اتجه إلي دراسة التاريخ والجغرافيا والفلسفة والآداب الفرنسية[٤] .

ست سنوات قضاها رفاعة الطهطاوي في فرنسا بصحبة أخطر المستشرقين وأدهاهم وهو البارون الفرنسي "سلفستر دي ساس" ، ذلك المستشرق الذي كان

---

(١) الرجل الصنم – مصطفى كمال أتاتورك – ترجمة عبد الله عبد الرحمن ط / الأهلية للنشر والتوزيع – الطبعة الأولى ٢٠١٣م من صـ ٢٦ – ٤٥ باختصار وتصرف .

(٢) راجع صـ (٣٥) من هذا البحث

(٣) معجم المؤلفين – عمر رضا كحالة جـ٤ صـ ١٦٨ .

(٤) الاتجاهات الفكرية المعاصرة للمستشار الدكتور علي جريشة .

له الأثر الأكبر في تغيير فكره بعد العودة إلي الوطن .

لما عاد رفاعة الطهطاوي إلي مصر أسس مدرسة الألسن التي أوحي لـه الفرنسيون بإنشائها ، والتي كانت مركزاً لبث الحضارة الغربية بين الدارسين باسم العلم والثقافة ، وذلك عندما استقدمت مصر أساتذة من فرنسا لتدريس المواد في تلك المدرسة .

وفي مقابل انضوائه تحت لواء الحضارة الغربية ، فقد رضي عنه محمد علي ومعظم أبنائه من الولاة ، حيث قد أهدي له إبراهيم باشا حديقة نادرة المثال في " الخانقاه " ومساحتها ٣٦ فداناً ، كما أهداه محمد علي ٢٥٠ فداناً بمدينة طهطا ، وأهداه الخديوي سعيد ٢٠٠ فداناً ، وأهداه الخديوي إسماعيل٢٥٠ فداناً، بينما اشتري الطهطاوي نفسه٩٠٠ فداناً ، حتي بلغت ثروته يوم وفاته١٦٠٠ فداناً غير ما شراه من العقارات العديدة في بلده طهطا وفي القاهرة [١] .

ولم يرض عنه محمد علي وأبناؤه فحسب ، بل رضي عنه كذلك الفرنسيون لأنه كان بمثابة الثغرة الأولي التي نفذ منها الغربيون إلي العالم الإسلامي ، فكما يقول المستشرق "جب" : (كانت المصادر الأولي التي أخذ الفكر الأوروبي يشع منها هي المدارس المهنية التي أنشأها محمد علي ، والبعثات العلمية التي أرسلها إلي أوروبا .. ومن بينها مدرسة الألسن التي كان يشرف عليها العالم الفذ رفاعة الطهطاوي ، وهو تلميذ "جومار ألبار")[٢] .

ومما يدل علي إعجاب الطهطاوي وانبهاره بزيف الحضارة الغربية قوله (... والغالب أن الجلوس للنساء، ولا يجلس أحد من الرجال إلا إذا اكتفي النساء ، وإذا

---

(١) انظر : أعلام وأقزام في ميزان الإسلام للدكتور سيد حسين العفاني جـ ١ صـ ٥٧ ط دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع – الطبعة الأولي ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

دخلت امرأة علي أهل المجلس ولم يكن ثمَّ كرسي خال قام لها رجل وأجلسها، ولا تقوم لها إمرأة لتجلسها، فالأنثي دائماً في هذه المجالس معظمة أكثر من الرجل ، ثم إن الإنسان إذا دخل بيت صاحبه فإنه يجب عليه أن يحيي صاحبة البيت قبل صاحبه ولو كبر مقامه ما أمكن ، فدرجته بعد زوجته أو نساء بيته)[١] .

ويقول في وصفه لحال المراقص في باريس ، ولا أدري ما حاجة الواعظ أو الإمام فضلاً عن غيره من المسلمين إلي دخول مثل هذه الأماكن : (فالرقص في باريس دائماً غير خارج عن قوانين الحياء ، بخلاف الرقص في أرض مصر ، فإنه من خصوصيات النساء ، لأنه لتهييج الشهوات ، أما في باريس فإنه لا يشم منه رائحة العهر أبداً ، وكل إنسان يعزم امرأة يرقص معها ، فإذا فرغ الرقص عزمها آخر للرقصة الثانية وهكذا، وسواء أكان يعرفها أولاً، وتفرح النساء بكثرة الراغبين في الرقص معهن، وقد يقع في الرقص رقصة مخصوصة، بأن يرقص الإنسان ويده في خاصرة من ترقص معه وأغلب الأوقات يمسكها بيده)[٢] .

ولا شك أن هذا الكلام يوحي لقارئه بدلالات نذكر منها اثنتين :

- أن الأخلاق ليست مرتبطة بالدين ، وهي فكرة انقدحت في ذهن الشيخ ، لكنه لم يستطع أن يعبر عنها بجلاء ووضوح ، فها هو المجتمع الفرنسي يمارس ألوان الدياثة التي لا يرضاها الدين طبعاً ، ولكنها مع ذلك ليست خارجة عن قوانين الحياء ، ولا يشم منها رائحة العهر أبداً .
- أن هذا المجتمع الديوث يكرم المرأة ويحترمها ، وفي المقابل نري المجتمع الإسلامي في نظره يحافظ علي العرض ولكنه يحتقر المرأة ، ويصل إلي المفهوم الذي وجده في أوروبا ، وهو أن حقوق المرأة مرتبطة بتحررها من

---

(١) تلخيص الإبريز في تلخيص باريز صـ ١٦٨ .

(٢) نفس المصدر صـ ١١٩ .

الدين ، فما لم ينبذ الدين فلن تحصل علي هذه الحقوق[١] .

ذلكم هو رفاعة رافع الطهطاوي إمام البعثة المصرية وواعظها إلي فرنسا ، الذي أصبح بين عشية وضحاها بوقاً من أبواق التغريب والانبهار بالحضارة الغربية، لم يكفه عدم القيام بالمهمة التي تم ابتعاثه من أجلها كواعظ أو إمام ، وجاء يعظنا نحن بأن "السفور والاختلاط ليس داعياً إلي الفساد"[٢] .

٣- أحمد لطفي السيد :

ولد في ١٥ يناير سنة ١٨٧٢م بقرية برقين بمحافظة الدقهلية ، وكان والده السيد باشا أبو علي عمدة هذه القرية خلفاً لوالده علي أبو سيد أحمد .

لما بلغ الرابعة من عمره أدخله أبوه كتاب القرية ، وكانت صاحبته سيدة تدعي الشيخة فاطمة ، ومكث في هذا الكتاب ست سنوات تعلم فيها القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، وفي سنة ١٨٨٢م التحق بمدرسة المنصورة الابتدائية ، وحينما حصل علي شهادة البكالوريا التحق بمدرسة الحقوق وتخرج فيها ١٨٩٤م .

عمل بالنيابة ، وتدرج في المناصب حتي عين نائباً للأحكام بالفيوم ، ثم رئيساً لمجمع اللغة العربية ، ورئيساً لدار الكتب ، ثم مديراً للجامعة المصرية ، ثم وزيراً للمعارف ، ثم وزيراً للداخلية [٣] .

لم يكن أحمد لطفي السيد – كما يذكر ألبرت حوراني – مقتنعاً كأساتذته "محمد عبده – جمال الدين الأفغاني" بأن المجتمع الإسلامي أفضل من المجتمع اللا إسلامي ، وينقل عنه قوله (لست ممن يتشبثون بوجوب تعليم دين بعينه

---

(١) انظر : أعلام وأقزام في ميزان الإسلام جـ١ صـ ٥٩ ، ٦٠ .

(٢) انظر : تخليص الإبريز في تلخيص باريز صـ ٣٠٥ .

(٣) انظر : كتاب قصة حياتي – أحمد لطفي السيد – صـ ٧ – ١٦ باختصار وتصرف – ط مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة .

أو قاعدة أخلاقية معينة ، ولكني أقول بأن التعليم العام يجب أن يكون له مبدأ من المبادئ يتمشى عليه المتعلم من صغره إلي كبره ، وهذا المبدأ هو مبدأ الخير والشر)[١] .

وتوضيح ذلك أن الدين سواء كان الإسلام أو غيره لا يعنيه إلا كأحد العوامل المكونة للمجتمع ، وليس باستطاعة بلد له تقاليد كمصر أن يقيم حياة الفرد إلا علي أساس الإيمان الديني ، وأن الإيمان كدين لمصر لا يمكن إلا أن يكون هذا الأساس ، لكنه يري (أن أديانا أخري قد تصلح لبلدان أخري)[٢] .

وبتعبير آخر : كان لطفي السيد مقتنعاً بأن المجتمع الديني خير من المجتمع اللا ديني ، لكنه لم يكن مقتنعاً كأساتذته بأن المجتمع الإسلامي أفضل من المجتمع اللا إسلامي .

ومن ثم فقد رأينا الأستاذ أنور الجندي وهو يلقي الضوء علي شخصية الأستاذ أحمد لطفي السيد يعدد لنا ما دعا إليه وتبناه ودافع عنه ، ونحن بدورنا سوف ننقل عنه منها ما يلي :

أولاً : دعا إلي قصر التعليم علي أبناء الأعيان باعتبار أنهم وحدهم الذين سيتولون الحكم معارضاً الاتجاه إلي المجانية بهدف المحافظة علي وجود طبقة معينة تتولي حكم البلاد دون أن يتاح ذلك لباقي أفراد الشعب .

ثانياً : دعا إلي العامية مؤيداً تلك الخطوات التي كان قد قطعها المستشرقون والمبشرون ، وكان أبرز ما دعا إليه إحياء الكلمات العامية المتداولة وإدخالها في صلب اللغة العربية الفصحى .

ثالثاً : مقاومة التضامن العربي الإسلامي ، وقد عارض مساعدة المصريين

---

(١) انظر : كتاب الفكر العربي في عصر النهضة – ألبرت حوراني – ط دار النهار للنشر – بيروت – لبنان صـ ٢١١ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

لجيرانهم في طرابلس العربي أثناء الغزو الإيطالي الاستعماري عام١٩١١م

رابعاً : أيد وجهة النظر البريطانية الاستعمارية في التعاون مع الجاليات المسيطرة المحتلة ، ودعا إلي أن تملك هذه الجاليات في الأراضي المصرية ، فيكون لها الحق في التملك والسيطرة علي التجارة والبنوك .

خامساً : مجد اللورد كرومر الحاكم البريطاني الذي أذل المصريين لمدة ربع قرن مسيطراً علي سياسة البلاد وساحقاً لكرامتها ومغتصباً لثروتها ، وكان ذلك يوم خروجه من البلاد وقال فيه : (أمامنا الآن رجل من أعظم عظماء الرجال ، ويندر أن نجد في تاريخ عصرنا نداً له يضارعه في عظائم الأعمال، وهو اللورد كرومر) .

سادساً : رسم لطفي السيد خلال عمله في الجريدة منهجاً للحياة الاجتماعية والسياسية والتربوية والاقتصادية يقوم علي التبعية العامة للنفوذ الأجنبي والفكر الغربي .

سابعاً : تبين أن مترجمات لطفي السيد عن أرسطو والتي هي منسوبة إليه أنه لم يكن هو مترجمها ، وأن مترجمها الحقيقي هو قسم الترجمة في دار الكتب المصرية وذلك بشهادة العديد من معاصري هذه الفترة .

ثامناً : أن حزب الأمة الذي أنشأه لطفي السيد كان بإجماع الآراء صناعة بريطانية أراد بها اللورد كرومر مواجهة الحركة الوطنية بجموع من الإقطاعيين والأعيان الذين وصفهم بكونهم أصحاب المصالح الحقيقية ، وقد كان هدف حزب الأمة بقيادة لطفي السيد تقنين الاستعمار والعمل علي شرعية الاحتلال[١] .

---

(١) رجال اختلف فيهم الرأي من أرسطو إلي لورس عوض للأستاذ أنور الجندي من صـ ١ إلي صـ ٥ بإختصار .

ذلكم هو أحمد لطفي السيد الملقب بأستاذ الجيل والفيلسوف ، قد بان لنا أمره ، وكشفت حقيقته ، فلم يكن إلا جندياً من أولئك الجنود الذين قام الغرب بتجنيدهم لتحقيق ما عجز هو عن تحقيقه والوصول إليه ، ومن ثم فقد رأينا العقاد رحمه الله تعالي يجرده من هذين اللقبين ويصفهما بكونهما لقبين كاذبين قائلاً : (هذا لطفي السيد ، ليس بالفيلسوف ولا هو بأستاذ لأحد ، ولم يكن في كل ما كتبه وقاله في حياته دليل واحد علي أكثر من أنه رجل متحذلق ضيق الاطلاع، لطفي السيد ليس بالفيلسوف بقوة رأسه ولا بكثرة اطلاعه ، فأما رأسه فضعيف متعفن بشهادة الطب لا بشهادة النقد ومقاييس الآراء ، فقد أجريت له عملية جراحية قبل بضعة أشهر لاستئصال كيس صديدي في رأيه ومداواة مبادئ التعفن في دماغه ، ومهما قال القائلون في الفكر والدماغ فلا نظن أحداً يدعي أن إنساناً يجيد التفكير وفي دماغه تعفن يستأصل بالجراحة ، وأما ضيق اطلاعه فالدليل عليه بسيط ، فإن لطفي السيد قد ترجم كتاب الأخلاق لأرسطو ، فاسألوه أين مقدمته هو علي ذلك الكتاب .. فليس أعجب من ترجمة عربية لأستاذ فيلسوف يكتفي فيها بالمقدمة الفرنسية ومسكوت فيها كل السكوت عن علاقته بالشرق والشرقيين ، أما أن هذه المقدمة غير لازمة فلا ، وأما أن كتابتها فوق طاقة الأستاذ الفيلسوف وفوق مقدور اطلاعه فذلك هو التعليق الوحيد المعقول)[١] .

وبعد ، فهؤلاء هم أشهر رواد التغريب في العالم الإسلامي ، وقد رأينا كيف أنهم كانوا يخلصون لأسيادهم ويتجرؤون علي دينهم ، وإلي أي درجة كانوا يقدسون الغرب ويستخفون بأوطانهم ، في الوقت الذي رأينا فيه أشخاصاً آخرين قد خاضوا غمار تلك التجربة مثلهم ، لكنهم عادوا إلي أوطانهم سالمين غانمين

---

(١) أكذوبتان في تاريخ الأدب الحديث – أحمد لطفي السيد – وطه حسين للأستاذ أنور الجندي صـ ٥ ، ٦ ط دار الأنصار للطباعة والنشر والتوزيع .

دون أن يتأثروا بفكرهم أو يفتتنوا بثقافتهم ، وكان إقبال واحداً من أولئك الرجال المعدودين الذين توصلوا إلي بغيتهم وحصلوا علي مطلبهم وأفلتوا من شباكهم ، وحق له أن يقول : (كسرت طلسم العصر الحاضر وأبطلت مكره ، التقطت الحبة وأفلت من شبكة الصياد، يشهد الله أني كنت في ذلك مقلداً لإبراهيم عليه السلام ، فقد خضت في هذه النار واثقاً بنفسي ، وخرجت منها سليماً محتفظاً بشخصيتي)[١] .

(١) نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية – مقالات ومحاضرات عن سياسة التعليم والتربية في الأقطار الإسلامية والحاجة إلي صياغتها الإسلامية الجديدة – بقلم السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي صـ ٣٦ ، ٣٧ – ط دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة الأولي ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م .

مظاهر العلمانية في الحياة الإسلامية

مما لا شك فيه أن العلمانية لم تكن وليدة المجتمعات الإسلامية ، بل إن المجتمعات الإسلامية لم تكن تعرف مثل هذا التيار الوافد لولا تلك البعثات التعليمية التي أرسلت إلي الجامعات الغربية بهدف جعل مصر – كما يقول محمد علي – قطعة من أوروبا .

بغض النظر عما قد ينطوي عليه قوله هذا من تبديل للقيم الأخلاقية التي كانت تميز المجتمعات الإسلامية عن المجتمعات الغربية ، وهو ما حدث بالفعل عندما عاد أصحاب تلك البعثات بعقول مخترقة ، ومما زاد الطين بلة أن المسؤولين قد أفسحوا لهم المجال لتولي الوظائف العليا والمناصب الهامة التي استطاعوا من خلالها أن يقوموا بالمهمة المنوطة بهم خير قيام ، ولما كانت تلك المهمة تتعلق بالعديد من المؤسسات الهامة في المجتمع الإسلامي ، فنشير في السطور التالية بمشيئة الله تعالي إلي أهمها وأبرزها فنقول وبالله التوفيق :

أولاً / التعليم :

كان وما زال هدف العلمانيين في العالم الإسلامي تغيير العقلية الإسلامية والقضاء على كل مقوماتها الأساسية ، وبصدد ذلك اجتهدوا فى إقصاء الدين الإسلامي عن المناهج الدراسية مع وصفه بالجمود والرجعية ، هذا بالإضافة إلى إبعاد العناصر التي تمثل الثقافة الإسلامية عن مراكز التوجيه بغية إنشاء عقلية عامة تقلل من شأن مقومات الحياة الإسلامية ، مع الانبهار والإعجاب بالمجتمعات الغربية .

وبذلك يتحول ميزان النفسية الإسلامية والعقلية العربية من المقاومة والجهاد إلى التقبل والتبعية والولاء ، وهذا ما حدث بالفعل ، فعندما قدم الإنجليز إلى مصر كان التعليم الوطني في قبضة الجامعة الأزهرية الشديدة التمسك بالدين،

والتي كانت أساليبها الجافة القديمة تقف حاجزاً في طريق أي إصلاح تعليمي ، فلو أمكن تطويره عن طريق حركة تنبعث من داخله لكانت هذه خطوة جليلة الخطر ، ولكن إذا بدا أن مثل هذا الأمل غير متيسر تحقيقه ، فحينئذ يصبح الأمل محصوراً في إصلاح التعليم اللا ديني الذى ينافس الأزهر حتى يتاح له الانتشار والنجاح ، وعندئذ سوف يجد الأزهر نفسه أمام أحد أمرين : فإما أن يتطور وإما أن يختفى ويموت[١] .

ومن أجل هذا فقد وضع دنلوب مستشار وزارة المعارف في عهد كرومر منهجاً تعليمياً لمدارس تخرج فيها الكثير من الدارسين ، وكانوا بعيدين كل البعد عن تأثير الدين ، ويسر لخريجيها أن يجدوا وظائف في دواوين الحكومة ، بينما كان خريجوا الأزهر لا يجدون بعد تخرجهم عملاً يرتزقون منه ، فتحول تيار التعليم الحى عن الأزهر إلى تلك المدارس العلمانية[٢] .

أضف إلى هذا أن الغرب عقب استقلال الدول التابعة له بحث عن الوسيلة التي تضمن له عدم استطاعة شعوب هذه الدول تطوير استقلالها الثقافي ، وكانت الجامعة هي الوسيلة ، لأن البلدان النامية يصعب عليها التحكم في هذه المؤسسة العلمية العليا ، ومن ثم فإنها الأداة التي يمكن بواسطتها تمرير سياساته الاستعمارية ، وهكذا كان تحت غطاء العلم يمرر اللغة والعادات ونمط التفكير والسلوك ، وكان الهدف الأساسي من كل هذا هو خلق الإنسان التابع في تفكيره قبل أن يكون تابعاً في نمط استهلاكه وسلوكه.

---

(١) أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامي – تأليف د. على محمد جريشة – محمد شريف الزيبق صـ٦٢، ٦٣ ط / دار الإعتصام – الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

(٢) قضية التنوير في العالم الإسلامي – تأليف : محمد قطب صـ٥٦ – الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م ط / دار الشروق .

ولا شك أن أساس هذا المشروع هو ترسيخ فكرة رئيسية في أذهان الشباب المتعطش للعلم أن الغرب هو كل شيء ، وبدونه لا يمكن عمل أي شيء ، هو البداية وهو النهاية وما عدا ذلك ليس بشئ[١] .

وفى سبيل ذلك عمد الاحتلال البريطاني في مصر إلى إحلال اللغة الإنجليزية محل اللغة العربية في المدارس المصرية وجعلها لغة التدريس في المرحلتين الابتدائية والثانوية ، وجعل التعليم في المرحلتين بمصروفات لا يتحمل دفعها إلا الأغنياء من أبناء الشعب[٢] .

ولقد هبطت ميزانية التعليم في ظل هذا الاحتلال هبوطاً مضطرداً ، ففي عام ١٨٨٥م نجد ميزانية التعليم ٨٤٦٨٩ جنيهاً ، ثم نجدها في عام ١٩٨٩م قد هبطت إلى ٨٠٣٣٨ جنيهاً ، وكان التعليم في مصر خلال خمسة وعشرين عاماً قضاها كرومر في تدهور مستمر[٣] .

ويظل التعليم في البلدان العربية والإسلامية مستهدفاً بالغزو الثقافي الصهيوني والاستعماري والعلماني ، فمن كان يصدق أو حتى يخطر على باله أن التعليم الأساسي في مصر في العقد الأخير من القرن العشرين يختزل فيه التاريخ الإسلامي وتحذف من غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم غزواته ضد عدوان اليهود وتأمرهم على الجماعة الإسلامية الأولى .

---

(١) أنظر : التغريب في الفكر والسياسة والاقتصاد ط / دار الفكر – دمشق – الطبعة الأولى صـ٥٥، ٥٦ – تأليف محمد سليم قلالة .

(٢) تاريخ التعليم الأجنبي في مصر تأليف جرجس سلامة صـ١١٣ .

(٣) أنظر : الغزو الثقافي في المجتمع العربي المعاصر للدكتور محمد سيد محمد ط / دار الفكر العربي – الطبعة الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م صـ١٢٣ .

لقد نشرت الصحفية المصرية مايسة عبد الرحمن موضوعات صحفية في ربيع عام١٩٩٣م حول ما أطلق عليه تطوير التعليم تبين منها أن التطوير يعنى اختزال التاريخ الإسلامي في مراحل التعليم المصري الإبتدائي والإعدادي والثانوي، ويعنى حذف غزوات الرسول – صلى الله عليه وسلم – ضد العدوان والتآمر اليهودي في عصر النبوة ، وذكر الكاتب الكبير فهمى هويدي في ذلك مقالاً تحت عنوان " فتنة في الأرض وفساد كبير "[١] وكتب الدكتور مصطفى محمود مقالاً تحت عنوان " تطوير أم تزوير " ذكر فيه أن الجهات المسئولة قامت بحذف واختصار جانب كبير من التاريخ الإسلامي ، وحذفت من المقررات القديمة المعارك التي خاضها الرسول – صلى الله عليه وسلم – ضد اليهود في خيبر وبنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة ومؤتة وتبوك ، وقلصت كل ما هو إسلامي فى تاريخنا وعمقت كل ما هو فرعوني [٢] .

وهذه العملية التطويرية – كما يذكر الدكتور محمد سيد محمد – باشرها ٢٩ أستاذاً ومستشاراً أمريكياً بينهم اثنان من اليهود بتمويل من المعونة الأمريكية[٣] .

هذا هو ما فعله الغرب في مجال التعليم ، وكان ذلك بواسطة رواد التغريب الذين حاولوا وقتها إقناع الشعوب بأن ما فعلوه هذا من قبيل التطوير ، والله يعلم إنهم لكاذبون .

---

(١) جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٣/٤/٦م .
(٢) نفس المصدر بتاريخ ١٩٩٣/٤/١٠م نقلاً من المصدر السابق صـ١٢٦ .
(٣) الغزو الثقافي صـ١٢٩ .

ثانياً / الإعلام :

إذا كانت العلمانية في التعليم أقدم وأخطر ، فإنها في الإعلام أعم وأشمل ، وإذا كان التعليم يخاطب الآلاف بمناهجه ، فإن الإعلام يخاطب الملايين ببرامجه .

ولقد أدرك أعداء الإسلام ذلك جيداً ، فراحوا يسعون إلى اختراقه والعمل على تفريغه من كل ما هو من شأنه أن ينهض بالأمة ويأخذ بأيديها إلى الطريق السوى السليم .

ولا شك أن التلفاز يعد من أخطر وسائل الإعلام على الإطلاق ، ذلك لما ينقله من أعمال فنية جذابة ومشوقة ، وقد أصبح هذا الجهاز الخطير في متناول الجميع ، وبدلاً من أن يقدم لمشاهديه ما كان ينتظر منه من البرامج الهادفة والبناءة ، إذا بنا نراه يقدم أعمالاً محصلتها النهائية ما هي إلا عبارة عن تكوين اتجاهات تميل إلى العنف أو الإعجاب بأنواع زائفة من البطولات ، أو التفنن في أساليب ارتكاب الجرائم أو غير ذلك مما لا يخدم هدفاً معقولاً أو حتى يصل بالمشاهد إلى نتيجة مرضية .

وقد دخلت هذه الأعمال الإعلامية كل بيت ، وهى تبث قيما غريبة غير مقبولة حتى بالنسبة إلى كثير من المجتمعات المتقدمة ، والتي يحذر من أخطارها المفكرون حتى في بلادها المنتجة .

وقد حذر من ذلك الدكتور فؤاد زكريا[١] قائلاً :

" إن تلك التيارات الضارة التي تأتى بها أجهزة الإعلام الجماهيرية ، تجد من يتصدى لها بقوة وحسم في نفس البلاد التي أنتجتها ، على حين أننا نتلقاها

(١) نقلا من دور الإعلام في مواجهة العلمانية المعادية تأليف : عبد المجيد شكرى صـ٤٥ ط / دار الصحوة للنشر والتوزيع بالقاهرة – الطبعة الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .

بالأحضان فاتحين لها بيوتنا ، لكى تعيش مع عائلاتنا وتمارس تأثيرها الفتاك في عقول أبنائنا ، وكأن هذه التيارات ليست من الفكر المستورد في شئ " .

ويعلق الكاتب الشاعر فاروق جويدة في جريدة الأهرام عقب المأساة التي عرفت بمأساة فتاة العتبة وتحت عنوان " ماذا جرى للمصريين " فيقول " وفى الوقت الذى يصوم فيه الناس شهر رمضان الكريم نهاراً نجد برامج التليفزيون تتسلمهم مع مدفع الإفطار لتقدم لهم أفسد الوجبات الإعلامية التي دفعت بعوالم شارع الهرم بكل ابتذالهم إلى بيوتنا ، ليشاهدهم الأطفال والشباب كوجوه تمثل الفن المصري والثقافة المصرية التي كانت يوماً عريقة ... ويمضى فيقول : الإعلام مسئول بتفاهاته وابتذاله وشططه ، والثقافة مسئولة بفنونها الهابطة وفكرها المشوه "[١] .

ومن ثم يتضح لنا أن أخطر وسائل العلمانية على الهوية الثقافية هو ذلك النظام الإعلامي الجديد وما يبثه على مدى ٢٤ ساعة عبر السموات المفتوحة وبواسطة القنوات الفضائية أو بواسطة شبكة الإنترنت .

وبعملية استقراء واقعية لإعلامنا يتضح لنا أن الإعلام الغربي قد سيطر على وسائل إعلامنا المختلفة ، وبالذات عن طريق ما يسمى بالتلفاز ، ذلك الجهاز الخطير الذى يلهث دائماً وراء البرامج والأفلام والمسلسلات التي تبث ليلاً ونهاراً حتى اقتحمت المفاهيم والقيم البراجماتيه منازلنا وعقولنا .

إن مسلسلاً أمريكياً كان يعرض منذ ما يقرب من خمسة عشر عاماً وهو مسلسل " فالكون كريست " وغيرها من المسلسلات التي عرضت وتعرض على الشاشة الصغيرة ، كفيلة بنقل القيم الأمريكية " البراجماتية " إلى عقلية المتفرج المصري ذلك المتفرج الذى يعمل إعلامه جاهداً على إبهاره بكل ما هو أمريكي.

---

(١) المصدر السابق صـ٤٥، ٤٦ .

والعجيب في الأمر أن دولاً كبرى كالصين واليابان قامت برفض عرض مسلسل " دالاس " على شاشات تليفزيوناتها ، وفى بريطانيا منظمة علمية تحمل اسم مجلس الإرشاد الأسرى ، أعلنت بعد دراسات عديدة أن مسلسل " دالاس " كفيل بإفساد القيم الأسرية والاجتماعية لدى المجتمع البريطاني المحافظ ، وأن العائلة التي تحمل اسم " دالاس " تظهر قيماً وسلوكيات ضارة ، فالأسرة تتعامل مع الزواج وكأنه سيارة مستعملة مشتراه من سوق السيارات القديمة ، فإذا سئم المرء موديلاً معينا سهل عليه التخلص منه لشراء سيارة أخرى مستعملة أيضاً ، وخطورة هذا المسلسل تكمن في أن الناس يتعايشون مع شخصياته ويتشربون قيمهم وأحكامهم تجاه المواقف من خلاله ، وهذا يعرض القيم البريطانية للخطر.(١)

وإذا كان هذا المسلسل يعرض القيم البريطانية للخطر مع أنهم والولايات المتحدة الأمريكية أبناء حضارة واحدة ، فكيف بالمجتمعات الإسلامية التي يفترض فيها أن تكون من أشد المجتمعات حرصاً وحفاظاً على القيم والأخلاق ؟ ألا ينبغي أن تكون هي الأولى بالرفض وعدم القبول .

ليس ذلك فحسب ، وإنما وجدنا المحررين الفنيين يدعون كتاب الدراما المصريين ليواظبوا على متابعة مسلسل " الجرئ والجميلة " يومياً على شاشة القناة الثانية لكى يتعلموا منه فن الكتابة الدرامية .(٢)

وعلى أية حال ، فقد قبل مجتمعنا الإسلامي ما رفضه مجتمع لا يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليتهم توقفوا عند هذا الحد ، بل رأيناهم يقومون بعرض ما يماثله من إنتاجهم أو يزيد ، وإن فيلما كفيلم " سوق المتعة " وغيره من الأفلام التي قامت بإخراجها المخرجة " إيناس الدغيدي" لهى كفيلة بغرس ما تحمله

---

(١) أنظر العولمة والثقافية الإسلامية للدكتور محمد الجوهري حمد الجوهري ط / دار الأمين للطبع والنشر والتوزيع– الطبعة الأولى١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م صـ٤١، ٤٢ باختصار وتصرف.

(٢) أنظر الغزو الثقافي والمجتمع المعاصر صـ٩٦ .

العلمانية إلينا من خلالها في عقول أبناء وبنات المسلمين .

ناهيك عن السيل الجارف من تلك الإعلانات والدعايات الخليعة والفاضحة ، وكذا الأغاني الشبابية الهابطة ، والتي تؤدى بصحبة فتيات ساقطات تجردن من الفضيلة والحياء .

ثالثاً / القانون :

تتمثل علمنة القانون في تنحية الشريعة الإسلامية عن القيام بدورها في الفصل بين الناس في القضايا ، واعتماد القوانين الوضعية عوضاً عن الأحكام الشرعية .

ولقد سارت هذه العلمنة جنباً إلى جنب مع التعليم والإعلام ، حيث كان أول مظهر لعلمنة القانون في تركيا عام ١٨٥٧م ، ثم تلاه في مصر عام ١٨٧٥م صدور بعض القوانين المستمدة من غير الشريعة الإسلامية ، ثم تلاه في عام ١٨٨٣م إنشاء المحاكم الأهلية .[١]

وفى تركيا ومع إلغاء الخلافة تم ما يلى :

١- إصدار قانون مدنى مستمد من القانون السويسري .
٢- إصدار قانون جنائي مستمد من القانون الإيطالي .
٣- إصدار قانون تجارى مستمد من القانون الألماني .[٢]

---

(١) المحاكم الأهلية تختص بالفصل في دعوى جنحة مباشرة بطلب تعويض عن تزور مخالصة يتعلق بها نزاع قائم أمام المحكمة المختلطة ، خصوصاً إذا كانت تلك المخالصة لم يقدمها المتهم بالمحكمة المختلطة إلى بعد رفع المدعى بالحق المدني دعوى الجنحة المباشرة عليه – أنظر الكتاب الذهبي للمحاكم الأهلية – تأليف مجموعة من رجال القانون المصري وقدم له عبد العزيز باشا فهمى ط / المطابع الأميرية – بولاق جـ١ صـ٢٤٩ .

(٢) الاتجاهات الفكرية المعاصرة صـ١١٣ باختصار وتصرف .

أما في مصر فمع معاهدة إلغاء الامتيازات الأجنبية عام ١٩٣٧م اشترط القائمون على المؤتمر أن تستمد مصر تشريعها من التشريع الغربي ، ومع زوال المحاكم المختلطة[١] صدر القانون المدني عام ١٩٤٨م ناصاً في مادته الأولى على مصادر القانون جاعلاً في مقدمتها التشريع الوضعي ، ثم العرف الوضعي .

ووضع في الدرجة الثالثة مبادئ الشريعة الإسلامية والقانون الطبيعي ، فجعل مكان الشريعة الدرجة الثالثة ، وجعل القانون الطبيعي مشاركا لها ، وتبعتها في ذلك أكثر الدول العربية بعد استقلالها ، وصار القانون المدني المصري أساساً لكثير من القوانين في البلاد العربية .

ولما قضى على الازدواج في القضاء بإلغاء المحاكم الشرعية بالقانون رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥م ، وأحيل اختصاصها للمحاكم الوطنية ، وقد كان ينتظر إلغاء ازدواج التشريع بإلغاء التحاكم إلى الشريعة الإسلامية في مجال الأحوال الشخصية، وهذا ما حاولت جهود يائسة الوصول إليه تحت مظلة شعارات مختلفة وبادعاء ضرورة التوحيد بين قوانين المسلمين وغير المسلمين .

إلا أن الخطوة الأخيرة لم تتم بصورة نهائية ، فقد صار النيل من قوانين الأحوال الشخصية في الفترة الأخيرة خاصة منها ما يتعلق بالطلاق وتعدد الزوجات، وكان أقساها ما صدر عام١٩٧٩م هو القانون رقم٤٤ لسنة ١٩٧٩م، والذى صدر في وقت وظروف تدل على الريبة ، إذا أصدره رئيس الدولة في غيبة مجلس الشعب، رغم أنه لم تكن هناك ضرورة ملحة لهذا الإصدار ،

---

(١) المحاكم المختلطة هي محاكم أسسها الخديوي إسماعيل في أكتوبر ١٨٧٥م ، صممها نوبار باشا ليتقاض إليها رعايا الدول الأوربية التي كانت المعاهدات تمنع تعاملهم مع القضاء المصري ، أنظر الكتاب الذهبي للمحاكم الأهلية جـ١ صـ٢٤٨ .

والمجلس يجتمع بعد الإصدار بفترة بسيطة[١] .

ولكن هل توقف أنصار العلمانية عند هذا الحد من علمنة القانون ؟ كلا لم ولن يتوقفوا ، فمازالوا يحاولون جاهدين لتنحية الشريعة الإسلامية على وجه الإطلاق ، فاللهم إنا نجعلك في نحورهم ، ونعوذ بك من شرورهم .

(١) الاتجاهات الفكرية المعاصرة صـ١١٤ .

مقارنة بين تطبيق العلمانية في الغرب وتطبيقها في بلاد المسلمين

مما لا شك فيه أن العلمانية في محيط الفكر الإسلامي دعوة لا ضرورة لها ولا فائدة ترجى منها ، ذلك لأن الإسلام لم يواجه صراعاً مع العلم أو مع رجال الدين أو مع السلطة الحاكمة على النحو الذى عرفته أوربا ، وإذا كان الإسلام لا يواجه من التحديات ما واجهه الغرب في اختلافه وصراعه مع الكنيسة ورجال الدين أو مقاومة ما أطلق عليه نظرية التفويض الإلهي ، فإن المجتمع الإسلامي ليس في حاجه إلى قبول هذه الفكرة .

وإذا كانت أوربا قد قبلت نظام العلمانية ، فلأنها قامت على مفهوم ديني معروف هو أنما لقيصر لقيصر وما لله لله ، ولكن الإسلام يجعل ما لقيصر وما لله كله لله تبارك وتعالى ، ومن ثم فالإسلام نظام شامل يمس حياة الإنسان في شتى نواحيها من المهد إلى اللحد ويتفق مع صحيح الحياة الإنسانية .

يقول الدكتور صلاح الصاوي : " ومن ثم فإن قياس الشرق الإسلامي على الغرب الصليبي في هذه القضية خطأ فادح لا يقل في فداحته عن خطأ قياس القرآن الكريم على أناجيل القوم المزيفة ، ودين الإسلام الخاتم على ديانات القوم المحرفة، فإن ما في هذه الأناجيل من باطل أضعاف أضعاف ما فيها من حق ، وما كان فيها من حق فهو منسوخ بالقرآن الكريم "[١] .

إذن لا يوجد هناك أدنى مبرر لطرح شعار العلمانية أو الدعوة إليها في العالم الإسلامي ، ذلك لأن الإسلام لم يقف عقبة أمام التكنولوجيا أو علم الفلك أو الفضاء ، ولم يحدث قديماً ولا حديثاً أن كان هناك تناقض بين الإسلام والعلم ،

---

(١) موقف الإسلام من العلمانية للدكتور صلاح الصاوي ط / دار الندوة العالمية – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م صـ٢٩ .

ولم يحدث أن اضطهد الحكام المسلمون العلماء أو سجنوهم بسبب نظرية في الفلك أو مقولة في الكيمياء ، بل شجع الحكام المسلمون العلماء ، وأمر القرآن الكريم في صريح آياته بطلب العلم وبالتفكير وبالنظر في ملكوت السماوات والأرض كما قال تعالى :

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[١]

﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴾[٢]

﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَ ﴾[٣]

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾[٤] .

كما لم يكن في الإسلام كهنوت ولا رجال دين ولا حاكم مقدس يقوم بالوساطة بين الله والناس ، ولا أحبار لهم سلطة على الخلق ، بل أمر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بأن يتبرأ من كل حول وطول ، قال تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾[٥] ، وهذا هو النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم ، فكيف بمن هم أقل منه[٦] .

---

(١) سورة يونس الآية رقم ١٠١ .

(٢) سورة الطارق الآية رقم ٥ .

(٣) سورة العنكبوت الآية رقم ٢٠ .

(٤) سورة طه الآية رقم ١١٤ .

(٥) سورة الأعراف الآية رقم ١١٨ .

(٦) انظر كتاب " المؤامرة الكبرى " د- مصطفى محمود – ط / مطابع دار أخبار اليوم صـ٤٦، ٤٧ .

وتعالوا بنا نتأمل في هذه المقارنة بين تطبيق العلمانية في الغرب وما قامت عليه من فصل الدين عن الدولة ، وبين تطبيقها في الشرق والمجتمعات الإسلامية، لندرك مدى جسامة التزييف الذى يمارسه المفتونون بهذه الدعوة في قياس الشرق على الغرب في مسألة الفصل بين الدين والدولة :

١- أن المناداة بفصل الدين عن الدولة في تاريخ المسيحية عود بها إلى وضعها الأول المذكور في أناجيل القوم ، وأن انحرافها عن هذا المبدأ جر عليها وعلى شعوبها البلاء والشقاء ، أما في الإسلام فإن المناداة بفصل الدين عن الدولة يعد انحرافا عما ورد في القرآن الكريم .

٢- أن العلاقة بين الدين والدولة في تاريخ القرون الوسطى قد جعل من رجال الدين طبقة تمثل السيطرة والاستعلاء والاضطهاد والتعصب ، أما العلاقة بين الدين والدولة في عصور الإسلام الزاهرة لم تخلق مثل هذه الطبقة ، ذلك لأن الإسلام نفسه لا يعترف بوجودها، فكيف يعترف بحقها في السيطرة والاستعلاء؟ .

٣- أن ربط الدولة بالدين في أوربا أدى إلى اضطهاد الفكر وخنق الحريات وقيام الحروب الدينية المفجعة ، أما الربط بين الدولة والدين في الإسلام ، فقد أدى إلى انطلاق الفكر وحماية الحريات الدينية وتحرير الناس من أوهام الخرافات والشعوذة [١] .

وحسبنا مثلاً على ذلك أن نقارن بين تركيا في ظل الدين الإسلامي وتركيا في ظل العلمانية ، لندرك مدى البون الشاسع والظلم الفادح في قياس الشرق على الغرب في هذه القضية ، لقد فصل الدين عن الدولة في تركيا ، فماذا جنت من المكاسب ؟ .

---

(١) موقف الإسلام من العلمانية صـ٣١ .

لقد ألقى بتركيا في أحضان الغرب غارقة بديونها مثقلة بالتزاماتها ، وأصبحت سوقاً لتصريف المنتجات الغربية ومركزاً للقواعد الحربية ، وعندما كان الدين سيد الدولة كانت تركيا إمبراطورية تملأ عين الدنيا وسمعها ، وكانت باسم الإسلام تخيف جارتها روسيا ، وعندما أصبحت الدولة سيدة الدين أصبحت تركيا مستعمرة لا هيبة لها ولا وزن ، وتتسول سلاحها من هنا ومن هناك ، وصار أقصى ما تتطلع إليه قيادتها العلمانية أن تصبح عضواً في السوق الأوربية المشتركة ، ولكن تركيا اليوم كما نسمع ونشاهد أخذت تستعيد هويتها الإسلامية وتستأنف مسيرتها الحضارية وإننا لنرجو لها ولغيرها من الدول الإسلامية التوفيق والسداد[١] .

ومن ثم نستطيع أن نقرر أن مسألة فصل الدين عن الدولة لا محل له في الواقع الإسلامي ، ولا يصلح تطبيقه في المجتمعات الإسلامية على وجه الإطلاق ، فالإسلام لا توجد فيه تناقضات عقائدية ، كما لا يوجد فيه كهنوت مقدس ، كما أن الدين الإسلامي هو دين العدالة والسماحة والمساواة ، وهو ينأى بنفسه عن كل مظاهر الاستبداد والظلم والجبروت ، وأيضاً هو دين العلم والمعرفة لا يحجر على العقل ولا يحارب العلم ، وحسبه أن يذكر له بكل فخر وإجلال أن أول آية نزلت على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم : ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾[٢] .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،

وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين .

---

(١) المصدر السابق صـ٣٢، ٣٣ .

(٢) سورة العلق من الآية رقم ١ إلى الآية رقم ٥ .

الخاتمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وأشهد أن لا إله إلا الله عم نـــوره الأرض والسموات ، ووسعت رحمته سائر المخلوقات ، إلا أنه سبحانه قد كتبهـــا للذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فلا يطالها الظالمون أو الظالمات ، ولا ينالها أهل الأهواء من المنحرفين والمنحرفات ، وأشهد أن سيدنا ونبينـــا محمـــداً عبـــد الله ورسوله الرحمة المهداة في زمن قدس أهله العزى وهبل ومناة واللات ، فهـــدى الله به خلقاً كثيراً كانوا غارقين في الظلمات ، فصلوات الله تعالى وسلامه عليـــه وعلى آله وأصحابه الطاهرين والطاهرات .

أما بعد

<u>فقد كشفت هذه الدراسة ما يلى :</u>

أولاً : أكدت الدراسة عدم الصلة بين العلم والعلمانية ، وأنهـــا لا تعنـــى ســـوى اللا دينية التي هي نوع من أنواع الإلحاد .

ثانيـاً : انتقلت العلمانية إلى الديار الإسلامية عن طريق الغزو العســـكري وكـــذا الغزو الفكري المتمثل في الاستشراق والتبشير والبعثات العلمية .

ثالثاً : لان تركيز العلمانيين منصباً على العديد من المؤسسات الهامة والحيوية ، والتي من بينها التعليم والإعلام والقانون .

رابعـاً : أن قياس الشرق الإسلامي على الغرب الصليبي فيمـــا يتعلـــق بتطبيـــق العلمانية خطأ فادح ، ذلك لأن الإسلام لم يواجه صراعاً مع العلـــم أو مـــع رجال الدين على النحو الذى عرفته المجتمعات الغربية ومن ثم فليس هناك أدنى مبرر لطرح شعار العلمانية أو الدعوة إليها في العالم الإسلامي .

والله ولى التوفيق .

المراجـــع

١- القرآن الكريم جل من أنزله
٢- أعلام وأقزام في ميزان الإسلام _ دكتور سيد حسين العفانى ط / دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع _ الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ _ ٢٠٠٤م.
٣- أساليب الغزو الفكري للدكتور على محمد جريشة وللدكتور محمد شريف الزيبق طـــ / دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع .
٤- آثار الفكر الاستشراقى في المجتمعات الإسلامية للدكتور محمد خليفة حسن ط / عنين للنشر والتوزيع .
٥- أكذوبتان في تاريخ الأدب الحديث " أحمد لطفى السيد _ طه حسين " للأستاذ أنور الجندى ط / دار الأنصار للطباعة والنشر والتوزيع .
٦- الاتجاهات الفكرية المعاصرة للدكتور على محمد جريشة ط / دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع _ الطبعة الرابعة ١٤٢٨هـــ - ٢٠٠٧م .
٧- الاستشراق والمستشرقون – مالهم وما عليهم – للدكتور مصطفى السباعي طـــ / دار الوراق للنشر والتوزيع .
٨- التيارات الفكرية – دراسة وتحليل – الدكتور احمد عبد الرحيم السايح والدكتور سامى عفيفي حجازي ط / مكتبة الثقافة الدينية – الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م .
٩- التغريب في الفكر والسياسة والاقتصاد – محمد سليم قلالة طـــ / دار الفكر دمشق – الطبعة الأولى .
١٠- التطرف العلماني في مواجهة الإسلام للدكتور يوسف القرضاوي ط / دار الشروق – الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .
١١- الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة للدكتور عبد المعين سعد الدين هنيدي ط/ دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع – الطبعة الثانية ٢٠١٠م .

١٢- جذور العلمانية للدكتور السيد احمد فرج ط / دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
١٣- حاضر العالم الإسلامي للمستشار الدكتور على جريشة ط / مكتبة وهبة للطبع والنشر – الطبعة السادسة ١٤٢٨ه – ٢٠٠٧م .
١٤- حقيقة العلمانية والصراع بين الإسلاميين والعلمانيين للدكتور محمد إبراهيم مبروك – الطبعة الأولى ٢٠٠٢م .
١٥- حقيقة العلمانية بين الخرافة والتخريب للدكتور يحيى هاشم ط / دار الصابوني .
١٦- دور الاعلام في مواجهة العلمانية المعادية _ المؤلف عبد المجيد شكري ط/ دار الصحوة للنشر والتوزيع بالقاهرة الطبعة الأولى١٤١٥هـ _ ١٩٩٥م
١٧- الدين والدولة في تركيا _ صراع بين الإسلام والعلمانية للدكتور / كمال السيد حبيب – ط / الهيئة المصرية العامة للكتاب .
١٨- الرجل الصنم _ مصطفى كمال أتاتورك _ ترجمة عبد الله عبد الرحمن ط / الأهلية للنشر والتوزيع _ الطبعة الأولى ٢٠١٣م .
١٩- الشوقيات للشاعر أحمد شوقي ط / دار العودة بيروت _ لبنان _ الطبعة الأولى ١٩٨٨م .
٢٠- الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية للسيد أبى الحسن على الحسنى الندوي ط / دار القلم للنشر والتوزيع _ الطبعة السادسة ١٤٢٤هـ _ ٢٠٠٣م .
٢١- العلمانية _ نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة للدكتور/ سفر بن عبد الرحمن الحوالي ط / دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة الثالثة ١٤٠٧ه – ١٩٨٧م .

٢٢- العولمة والثقافة الإسلامية للأستاذ الدكتور محمد الجوهري ط / دار الأمين للطبع والنشر والتوزيع – الطبعة الأولى ١٤٢٢ه – ٢٠٠٢م.
٢٣- الغارة على العالم الإسلامي للمؤلف أ. ل شاتلير تم نقله إلى العربية بواسطة مساعد الباقي ومحب الدين الخطيب ط / الدار السعودية للنشر – الطبعة الثانية ١٣٨٧ه .
٢٤- الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر للدكتور محمد سيد محمد ط / دار الفكر العربي– الطبعة الأولى ١٤١٥ه – ١٩٩٤م .
٢٥- الفكر العربي في عصر النهضة – ألبرت حوراني ط / دار النهار للنشر بيروت – لبنان . قصة حياتي– أحمد لطفى السيد ط / مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة .
٢٦- قضية التنوير في العالم الإسلامي للمؤلف محمد قطب – الطبعة الثانية ١٤٢٣ه – ٢٠٠٢م .
٢٧- قوى الشر المتحالفة " الاستشراق والتبشير والاستعمار " وموقفها من الإسلام والمسلمين _ للمؤلف محمد محمد الدهان .
٢٨- الكتاب الذهبي للمحاكم الأهلية – مجموعة من رجال القانون المصري– ط / المطابع الأميرية .
٢٩- المستدرك على الصحيحين _ الإمام الحافظ أبو عبد الله النيسابوري ط / دار الكتاب العربي بيروت _ لبنان .
٣٠- موقف الإسلام من العلمانية للدكتور صلاح الصاوي – ط / دار الندوة العالمية – الطبعة الأولى ١٤٢٢ه _ ٢٠٠١م .
٣١- نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية للسيد أبى الحسن على الحسنى الندوي ط / دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع _ الطبعة الأولى ١٣٨٨ه _ ١٩٦٩م .

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١	المقدمة	٤٥٢٣
٢	مفهوم العلمانية	٤٥٢٤
٣	أسباب نشأة العلمانية	٤٥٢٩
٤	أسباب انتقال العلمانية إلى العالم الإسلامي	٤٥٣٩
٥	أولاً : الغزو العسكري الاستعماري	٤٥٣٩
٦	آثار الاستعمار في بلاد الإسلام	٤٥٤٢
٧	ثانياً : الغزو الفكري (الاستشراق والتبشير والتغريب)	٤٥٥٠
٨	١- الاستشراق	٤٥٥٠
٩	٢- التبشير (التنصير)	٤٥٥٥
١٠	٣- التغريب	٤٥٦١
١١	أشهر رواد التغريب في العالم الإسلامي	٤٥٦٤
١٢	١- مصطفى كمال أتاتورك	٤٥٦٤
١٣	٢- رفاعة رافع الطهطاوي	٤٥٦٥
١٤	٣- أحمد لطفي السيد	٤٥٦٨
١٥	مظاهر العلمانية في الحياة الإسلامية	٤٥٧٣
١٦	أولاً : التعليم	٤٥٧٣
١٧	ثانياً : الإعلام	٤٥٧٧
١٨	ثالثاً : القانون	٤٥٨٠
١٩	مقارنة بين تطبيق العلمانية في الغرب وتطبيقها في بلاد المسلمين	٤٥٨٣
٢٠	الخاتمة	٤٥٨٧
٢١	المراجع	٤٥٨٨
٢٢	فهرس الموضوعات	٤٥٩١